الأساليب التربوية

التي تربط المجتمع بكتاب الله

د. محمد سيد شحاته

هذا الكتاب منشور في

الأساليب التربوية

التي تربط المجتمع بكتاب الله

أعده:

د. محمد سيد أحمد شحاته

Mohamed Sayed Ahmed Shehata

أستاذ الحديث وعلومه المشارك

جامعة الأزهر كلية أصول الدين أسيوط

وجامعة المجمعة

كلية التربية الزلفي

إيميل: ms.shehataa@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الْحَمد لله لذاته وَجَمِيل صِفَاته، وَالشُّكْر لَهُ على آلائه ونعمائه وعطائه وهباته، وَالصَّلَاة وَالسَّلَام على عَبده وَرَسُوله الْمَبْعُوث بِالدّينِ المتين، وَالْكتاب الْمُبين، نَبِينَا مُحَمَّد الرَّسُول الْأمين، وعَلى آله وَأَصْحَابه الهداة المهتدين.

أما بعد:

فمن المعلوم أن القرآن الكريم هو منهج حياة للمسلمين، فتبنى عليه الأحكام، وتؤخذ منه التشريعات، ليس ذلك فحسب بل ينهل منه كل صاحب علم، وكل مرب ومعلم، ولا شك أن هناك أساليب تربوية في القرآن نفسه تربط المجتمع به، سأعرج على بعضها في البحث.

ومن المعلوم أن تربية الإنسان والأخذ بيده إلى درجات الكمال والنقاء والصفاء والارتقاء به إلى منازل السمو والرفعة وانتشاله من مستنقعات الفساد والضياع أمر يشغل بال المربين، ويقلق الناصحين العاملين، ويستعصي في كثير من الأحيان على الدعاة المخلصين، والسبب في كل ذلك أنه بصلاح هذا الإنسان تصلح بإذن الله الأرض، ويعمر الكون لأنه يوجه طاقاته حينئذ إلى ما فيه صلاحه، وصلاح مجتمعه، فيكون عضواً نافعاً في هذا الكون العامر، وبفساده وانحرافه تتوجه هذه الطاقات، وتلك الملكات إلى الفساد والإفساد، والعلاج كل العلاج في القرآن الكريم.

إنه منهج متكامل بمعنى أن بعضه لا يغني عن بعض وأنه قادر على بناء الإنسان المسلم إذا أخذه كله دون إهمال لشيء منه، وانه منهج يربي الإنسان الصالح للتعامل مع الحياة الدنيا ومع الحياة الآخرة.

إنه منهج يعترف بكل الطاقات التي في الإنسان: الروحية والعقلية والبدنية.. ويعمل على الاستجابة لحاجاتها وإشباع رغباتها في الحدود الشرعية التي جاء بها الإسلام، وهو منهج قابل للتطبيق فلا يمعن في المثالية التي تجعل الإنسان عاجزاً عن الأخذ به وتطبيقه، وهو منهج عملي لم يكتف بوضع النظريات ثم يتجاهل ظروف تطبيقها وملابسات ذلك، وهو منهج مستمر ليس مؤقتاً ولا مرحلياً ولا يناسب زماناً دون زمان ولا مكاناً دون مكان وإنما هو صالح للبشرية جمعاء إلى أن يرث الله الأرض وما عليها.

وهو منهج يستوعب كل المستجدات والمستحدثات في حياة الإنسان وهو بهذا يفتح أمام الناس باب العلم والإبداع والكشف عن حقائق هذا الكون إلى الحد الذي تطيقه قدرة الإنسان وطاقته هذه هي أبرز ملامح تفرد هذا المنهج الرباني منهج القرآن في التربية ... ومنهج يقوم على هذه الأسس ويعتمد على هذه الركائز لا شك منهج يحمل في جنباته الشمول والعموم والدوام والاستمرار ولا غرابة في ذلك فهو منهج جاء من عند خالق البشر وموجدهم وهو أعلم سبحانه بما يصلح أحوالهم ويقيم اعوجاجهم ويلبي حاجاتهم، ولو أن الناس جميعاً التزموا بهذا المنهج وطبقوا هذا الأمر في واقع حياتهم لما رأيت هذا التخبط في الحياة ولما وجد هذا الظلم بين الناس ولما شغل الناس بتوافه الأمور وسفاسفها ولاستقامت حياتهم وصارت كلها هناء ورخاء ورغد، ولم تبرز تلك الظواهر الخطيرة في حياتهم من القلق والاكتئاب وفقدان السعادة ومعيشة الضنك والبؤس مما يدفعهم إلى التناحر والتقاتل فيما بينهم وان يوجهوا طاقاتهم وما منحهم الله من قوة إلى الإفساد في الأرض بدل إصلاحها..

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى:

- إظهار أن القرآن الكريم يحدد أهداف التربية وغايتها ويشمل مجالات متعددة.
- بيان أن القرآن الكريم يضع المبادئ والمقومات التي تعتمد عليها التربية ويشير إلى أساليبها وطرائقها القويمة.
- إثبات أن القرآن الكريم يوجه إلى تربية قويمة تؤدي إلى الإصلاح الشامل للفرد، والمجتمع، وللأمة التي تهتدي بهديه.

أهمية الدراسة: تكتسب الدراسة أهميتها من:

- أهمية القرآن الكريم الذي جعله الله- سبحانه وتعالى- شفاء لما في الصدور من الزيغ، والريب، والنفاق، والشرك:
- القرآن الكريم أعظم مصدر للتربية قديماً وحديثاً، حاضراً ومستقبلاً، لما يحوي من الثروة التربوية العظمى في الأهداف، والمحتويات، والأساليب مقرونة بالتسامي والواقعية والشمول والاتزان...
- ما للقرآن الكريم من تأثير على الأمة التي تهتدي بهديه، وتربي أبناءها وفق تعاليمه فيه تجتمع كلمتها، ويرتفع شأنها، وبه تقضي على عوامل الفساد التي تعاني منه.

منهج الدراسة:

• اتبع الباحث في دراسته الطريقة الوصفية في جمع الآيات والأحاديث المتعلقة بها، وأقوال علماء التربية في نواحيها المتعددة.

• الطريقة الاستنباطية وهي طريقة لاستخراج العلم بالاجتهاد من كلمات العلم الخصبة خاصة آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، وسائر النصوص التربوية وتحليلها.

أهداف البحث:

- التعرف على أن أهداف التربية وغايتها في.
- •بيان أن القرآن الكريم يضع المبادئ والمقومات التي تعتمد عليها التربية ويشير إلى أساليبها وطرائقها القويمة.
- • إثبات أن القرآن الكريم يوجه إلى تربية قويمة تؤدي إلى الإصلاح الشامل للفرد، والمجتمع، وللأمة التي تهتدي بهديه.

خطة البحث:

هذا وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تأتي في: مقدمةٍ، وخمسةِ مباحث، وخاتمةٍ.

المقدمة: أهمية الموضوع، وأهدافه، ومنهجه، وخطة السير فيه.

المقدمة: أهمية الموضوع وعناصره.

المبحث الأول: لمحة عن بيان فضل القرآن الكريم، وحملته.

المبحث الثاني: الأساليب التي تربط المجتمع بكتاب الله.

المبحث الثالث: أسلوبه ﷺ في التعليم.

الخاتمة: أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول:

لمحة عن بيان فضل القرآن الكريم، وحملته:

القرآن هو كلام الله الذي يخاطب به كل واحد منا صباح مساء، وقد سبقت في المقدمة الإشارة إلى أوصافه التي تعرف بها مكانته، فالفضل كل الفضل في قراءة حروفه وفهم معانيه والوقوف عند حدوده، لعلَّنا أن نكون من أهله.

والحديث عن فضل القرآن وفضل تلاوته وأثر تلاوته في حياة الناس حديث قد يطول، لما للقرآن من فضل، ولما ورد فيه من الأدلة الكثيرة، ولما كان من الصعب حصر كل ذلك في هذا البحث الموجز رأيت أن أقدم إشارات لطيفة إلى بعض ذلك، فما لا يدرك كله لا يترك جله. وإليك أيها القارئ الكريم شيء من تلك الأدلة التي جمعتها وحاولت الربط بينها ربطاً خفيفاً إما بتقديم للآية أو بذكر تفسير مختصر لها.

أولاً: من نصوص القرآن.

قال تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} (الإسراء: ٩). فأصح طريق وأقومه هو ما هدى وأرشد إليه القرآن الكريم لأنه النور المبين الذي ينير الطريق للبشرية في ظلمة هذه الحياة قال تعالى: {وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ} (البقرة: ٩٩). وقال تعالى: {الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ} (الحجر: ١).

ولما له من الأثر العظيم والتأثير البالغ في النفوس ما لبثت الجن حين سمعته أن آمنت به، قال تعالى: {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ} (الأحقاف: ٢٩-٣١). وقال تعالى مخبراً عنهم مرة أخرى: {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ} (الجن:١-٢).

بل ولا أبالغ إذا ما قلت إن عدداً كبيراً من المسلمين الأوائل كان سبب إسلامهم وهدايتهم سماعهم لآيات القرآن التي انبهروا بها وعرفوا بتوفيق الله لهم أن هذا الكلام وهذه البلاغة والفصاحة لا يمكن أن تصدر عن بشر.

والآيات في وصف القرآن بأنه مصدر الهداية والإرشاد، والقيادة إلى طريق السعادة والسداد كثيرة جداً (١).

---

١) العناية بالقرآن الكريم في العهد النبوي الشريف (ص: ١١).

ثانياً: من نصوص السنة النبوية.

لأن فضائل القرآن لا تكاد تحصى فقد أفرده بالتصنيف أبو بكر بن أبي شيبة والنسائي وأبو عبيد القاسم بن سلام وابن الضريس وآخرون وقد صح فيه أحاديث باعتبار الجملة وفي بعض السور على التعيين ووضع في فضائل القرآن أحاديث كثيرة(٢)، وسأشير إلى بعض الأحاديث.

عن أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ». قَالَ مُعَاوِيَةُ: بَلَغَنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ: السَّحَرَةُ،(٣).

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو: "مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَقَدِ اسْتَدْرَجَ النُّبُوَّةَ بَيْنَ جَنْبَيْهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُوحَى إِلَيْهِ لَا يَنْبَغِي لِصَاحِبِ القرآن أن يجد مع من يجد وَلَا يَجْهَلَ مَعَ مَنْ يَجْهَلُ وَفِي جَوْفِهِ كَلَامُ اللَّهِ"(٤)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ»(٥).

هذه بعض فضائل القرآن التي تجعل المسلم يقبل عليه، لكن لا بد معه من أساليب لربط المجتمع بهذا القرآن الذي لا تعد فضائله، هذا ما سأشير إليه في الفصل القادم.

المبحث الثاني:

الأساليب التي تربط المجتمع بكتاب الله:

إن الناظر الآن في أحوال الناس يرى أن المشاغل قد بلغت ذروتها لا سيما مع التقنية الحديثة التي صرفت الناس عن النافع والمهم، أضف إلى ذلك تلك أزمات التي تكاثرت، وتكاد تعصف بشبابنا وأولادنا، لذا لا بد من ذكر بعض الأساليب التي تربطهم بكتاب ربهم.

وهناك أساليب عديدة تتنوع، وتختلف حسب اختلاف الزمان والمكان، لكن ستظل الثوابت واحدة، اذكر بعضاً منها.

---

٢) الإتقان في علوم القرآن (٤/ ١٢٠).

٣) أخرجه مسلم (١/ ٥٥٣) برقم(٨٠٤) .

٤) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (١/ ٧٣٨) رقم(٢٠٢٨)، وصححه، والبيهقي في الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ١٣) برقم(٥٨١)..

٥) أخرجه البخاري (٦/ ١٨٢) برقم(٤٩٨١)،

الأسلوب الأول: الثناء والتشجيع:

الثناء والتشجيع وتسليط الضوء على مكامن الكمال في النفس البشرية والإشادة بها منهج نبوي كريم، يراد منه بعث النفس على الزيادة، وإثارة النفوس الأخرى نحو الإبداع والمنافسة، وهو مشروط بأن يكون حقاً، وأن يُؤمَن جانب الممدوح، وأن يكون بالقدر الذي يحقق الهدف.

انظر مثلاً وتأمل قوله تعالى: "وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (الكهف: ٨٨)

فهذه الآية تضع لنا أساس عملية الجزاء التي هي ميزان المجتمع وسبب نهضته،... فما أجمَل أنْ نرصُدَ المكافآت التشجيعية والجوائز، ونقيم حفلات التكريم للمتميزين والمثاليين، شريطةَ أنْ يقومَ ميزان الاختيار على الحق والعدل(٦).

والآيات التي يتكرر فيها أَمْ حَسِبْتُمْ: خطاب للمؤمنين على وجه التشجيع لهم، وانظر مثلاً إلى قوله تعالى حكاية على لسان موسى: "قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ" (الأعراف: ١٢٨).

ذلك أن خطاب التشجيع والتحريض، وهو الحث على الاتصاف بالصفات الجميلة، نحو قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ" الصف: ٤(٧).

ومن التشجيع قوله تعالى: "وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ ما لا يَرْجُونَ" (النساء: ١٠٤) فهذا برهان بيّن، ينبغي بحسبه.

وقد جاءت نصوص من السنة النبوية تبين أثر التشجيع.

هناك تشجيع عام يحفز الناس على تعلم كتاب الله، كما جاء في بيان معلم القرآن ومتعلمه.

فعن عثمان عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه "(٨).

وعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، مَثَلُ الْأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ، لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ "(٩).

---

٦) تفسير الشعراوي (١٤/ ٨٩٨٥).

٧) الموسوعة القرآنية (٣/ ١١١).

٨) أخرجه البخاري (٤/١٩١٩) برقم (٤٧٣٩).

٩) أخرجه صحيح البخاري (٦/ ١٩٠) برقم (٥٠٢٠)، ومسلم (١/ ٥٤٩) برقم (٧٩٧)

(الأترجة) هي ثمر جامع لطيب الطعم والرائحة وحسن اللون يشبه البطيخ]، وهذا تشجيع عام بضرب المثل، مذله ما جاء عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ»(١٠).

وهذا التشبيه فيه ما فيه من التشجيع، والتحفيز على تعلم القرآن.

و(الماهر بالقرآن) هو الحاذق الكامل الحفظ الذي لا يتوقف ولا يشق عليه القراءة لجودة حفظه وإتقانه (مع السفرة الكرام البررة) السفرة جمع سافر ككتبة وكاتب والسافر الرسول والسفرة الرسل لأنهم يسفرون إلى الناس برسالات الله وقيل السفرة الكتب والبررة المطيعون من البر وهو الطاعة (ويتتعتع فيه) هو الذي يتردد في تلاوته لضعف حفظه فله أجران أجر بالقراءة وأجر بتتعته في تلاوته ومشقته]

ومن التشجيع الخاص ما روي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لِأُبَيٍّ: «إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ»، قَالَ: آللَّهُ سَمَّانِي لَكَ؟ قَالَ: «اللهُ سَمَّاكَ لِي»، قَالَ: فَجَعَلَ أُبَيٌّ يَبْكِي(١١).

وعَنْ أَبِي بريدة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ أَو الْأَشْعَرِيَّ أُعْطِيَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ»(١٢).

فقد شبه حسن الصوت وحلاوة نغمته بصوت المزمار وداود هو النبي عليه السلام وإليه المنتهى في حسن الصوت بالقراءة.

فأنظر وفقك الله كيف شجع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا موسى بالثناء على جمال صوته.

وسماعه من ابن مسعود فعَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ» قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَقْرَأُ عَلَيْكَ؟ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: «إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي»، فَقَرَأْتُ النِّسَاءَ حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ: {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا} [سورة: النساء، آية رقم: ٤١] رَفَعْتُ رَأْسِي، أَوْ غَمَزَنِي رَجُلٌ إِلَى جَنْبِي، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ دُمُوعَهُ تَسِيلُ(١٣).

وعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ: لاَ أَزَالُ أُحِبُّهُ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «خُذُوا القُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ»(١٤).

---

١٠) أخرجه مسلم (١/ ٥٤٩) برقم (٧٩٨) .

١١) أخرجه صحيح البخاري (٥/ ٣٦) برقم (٣٨٠٩)، ومسلم (١/ ٥٥٠) برقم (٧٩٩) .

١٢) أخرجه صحيح البخاري (٦/ ١٩٥) برقم (٥٠٤٨)، ومسلم (١/ ٥٤٦) برقم(٧٩٣)

١٣) أخرجه صحيح البخاري (٦/ ١٩٧) برقم (٥٠٥٥)، مسلم (١/ ٥٥١) برقم (٨٠٠).

١٤) أخرجه البخاري (٦/ ١٨٦) برقم (٤٩٩٩)، صحيح مسلم (٤/ ١٩١٣) برقم (٢٤٦٤).

ثانياً: التدرج ومراعاة الحال:

من المعاني اللغوية للتربية التدرج، وهذا المعنى له دلالته اللغوية، القريبة من استعمال الكلمة، إذا التدرج من أهم معاني التربية، وأشدها أثراً على المتعلم، لذا ينبغي على المعلم أن يتدرج في ربط متعلميه، وربط الناس جميعاً بكتاب الله تعالى، لأن المتعلمين ليسوا على درجة واحدة من الفهم والإدراك، ولا على درجة واحدة في الحرص والرغبة.

وقد كان التشريع الذي نزل من عند الحكيم الخبير، يرعى التدرج وتمرين الناس على قبول الشرائع وترويضهم عليها؛ حيث خوطب الناس ابتداءً بالأهم فالأهم، فكان التأكيد أولاً على تحقيق التوحيد، حتى إذا استقرت نفوسهم أمروا بالفرائض ثم سائر الشرائع والأحكام.

عن يُوسُف بْن مَاهَكٍ، قَالَ: إِنِّي عِنْدَ عَائِشَةَ أُمِّ المؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، إِذْ جَاءَهَا عِرَاقِيٌّ، فَقَالَ: أَيُّ الكَفَنِ خَيْرٌ؟ قَالَتْ: وَيْحَكَ، وَمَا يَضُرُّكَ؟ " قَالَ: يَا أُمَّ المؤْمِنِينَ، أَرِينِي مُصْحَفَكِ؟ قَالَتْ: لِمَ؟ قَالَ: لَعَلِّي أُوَلِّفُ القُرْآنَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُقْرَأُ غَيْرَ مُؤَلَّفٍ، قَالَتْ: وَمَا يَضُرُّكَ أَيَّهُ قَرَأْتَ قَبْلُ؟ " إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ المفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلاَمِ نَزَلَ الحَلاَلُ وَالحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لاَ تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لاَ تَزْنُوا، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا، لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ: {بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ} [القمر: ٤٦] وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ "، قَالَ: فَأَخْرَجَتْ لَهُ المصْحَفَ، فَأَمْلَتْ عَلَيْهِ آيَ السُّوَرِ(١٥).

وكذا كان المنهج النبوي في التربية والتعليم يقوم على التدرج ومراعاة الحال.

- روى ابن ماجه عن جندب بن عبد الله . رضي الله عنه . قال: «كنا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- ونحن فتيان حزاورة، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن، فازددنا به إيماناً» (٤).

كم نستعجل أحياناً في تعليم القرآن (حفظه) للأبناء والتلاميذ قبل تثبيت الإيمان في نفوسهم، كم رأينا ممن قارب إتمام القرآن حفظاً فانقطع وتغير سلوكه؛ لأن بناء الإيمان لم يتزامن مع الحفظ، إني بهذا الكلام أؤكد دور التربية والبناء الإيماني، ولا أقلل من أهمية الحفظ.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يَجِدَ فِيهِ ثَلَاثَ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ؟» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «فَثَلَاثُ آيَاتٍ يَقْرَأُ بِهِنَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ»(١٦).

---

١٥) صحيح البخاري (٦/ ١٨٥) برقم (٤٩٩٣).

١٦) أخرجه مسلم (١/ ٥٥٢) برقم (٨٠٢)

(خلفات) الخلفات الحوامل من الإبل إلى أن يمضي عليها نصف أمدها ثم هي عشار والواحدة خلفة وعشراء]

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ، فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ، أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ، فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ، وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟»، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ، أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ»(١٧).

وقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: «لَقَدْ تَعَلَّمْتُ النَّظَائِرَ الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَؤُهُنَّ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ، فِي كُلِّ رَكْعَةٍ»، فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ وَدَخَلَ مَعَهُ عَلْقَمَةُ، وَخَرَجَ عَلْقَمَةُ فَسَأَلْنَاهُ، فَقَالَ: عِشْرُونَ سُورَةً مِنْ أَوَّلِ المُفَصَّلِ عَلَى تَأْلِيفِ ابْنِ مَسْعُودٍ، آخِرُهُنَّ الحَوَامِيمُ: حم الدُّخَانِ وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ(١٨).

– وإن من التدرج ومراعاة الحال في التربية والتعليم عدم تقديم ما حقه التأخير، وأن يُخَصَّ بالعلم أناسٌ دون غيرهم مراعاةً للفهوم وتقديراً للمصالح. لذا بوب البخاري في صحيحه قال: (باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا)(١٩).

قال العيني ـ رحمه الله ـ: (بيان وجوب أن يُخَصَّ بالعلم الدقيق قومٌ فيهم الضبط وصحة الفهم، وأن لا يُبذل لمن لا يستأهله من الطلبة ومن يخاف عليه الترخص والاتكال لتقصير فهمه)(٢٠).

وروى البخاري في صحيحه عن علي بن أبي طالب معلقاً قال: حدِّثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله –صلى الله عليه وسلم–(٢١). وروى مسلم، عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: «ما أنت محدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»(٢٢).

إن عملية التعليم والتربية ليست عملية استعراض يستعرض فيها المربي أو المعلم معلوماته، إنما هي صياغة متكاملة تحتاج في أولها إلى الأسس والمبادئ التي تصح بها النهايات وتكتمل، وكما قال شيخ الإسلام: (صحة البدايات تمام النهايات).

---

١٧) أخرجه مسلم (١/ ٥٥٢) برقم (٨٠٣) .

١٨) أخرجه البخاري (٦/ ١٨٦) برقم (٤٩٩٦).

١٩) صحيح البخاري (١/ ٣٧).

٢٠) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢/ ٢٠٨).

٢١) صحيح البخاري ط ابن كثير (١/ ٥٩) برقم (١٢٧).

٢٢) صحيح مسلم – دار الجيل (١/ ٩) برقم(١٥).

وهكذا كانت طريقة الربانيين الذين امتدحهم الله فقال: {وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ} [آل عمران: ٧٩]. قال البخاري: قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: (الرباني هو الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره).

- ومما يدخل في مراعاة حال المتعلم أو المتربي إعطاء كل مرحلة ما يناسبها من العلم والتربية.

ثالثاً: التبسط وإزالة الحواجز:

النفوس البشرية ضعيفة تحوي في داخلها مشاعر وعواطف، يجذبها المعروف، وتحب الأنس والتواضع، وتكره التعالي والتكلف، وتأنف الجفاء والعبوس وتقطيب الجبين. والتبسط وإزالة الحواجز بين المربي والمتربي كفيل بإيجاد بيئة مطمئنة تساعد في تسارع التعليم، وتطور التربية، واتساع مساحتها بشكل واضح، والناظر في هدي النبي -صلى الله عليه وسلم- يجد ذلك واضحاً، ويرى الأثر الكبير الذي يحدثه هذا الأسلوب في النفوس.

قَالَ تَعَالَى: {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} ([الشعراء: ٢١٥]

وَقَالَ تَعَالَى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ، فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} ([آل عمران: ١٥٩]

قَالَ تَعَالَى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ، حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ، بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} ([التوبة: ١٢٨]

- كان الرجل يأتي إلى مجلس رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لا يحجبه عنه بوابون قَالَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلاَ رَآنِي إِلَّا ضَحِكَ»(٢٣).

وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَجُلٌ فَكَلَّمَهُ، فَجَعَلَ تُرْعَدُ فَرَائِصُهُ، فَقَالَ لَهُ: "هَوِّنْ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ"(٢٤).

وعَنْ سَعْدٍ، قَالَ: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعِنْدَهُ نِسْوَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَسْأَلْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ عَلَى صَوْتِهِ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ تَبَادَرْنَ الحِجَابَ، فَأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي؟ فَقَالَ: «عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلاَءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي، لَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ تَبَادَرْنَ الحِجَابَ» فَقَالَ: أَنْتَ أَحَقُّ أَنْ يَهَبْنَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِنَّ، فَقَالَ: يَا عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ، أَتَهَبْنَنِي وَلَمْ تَهَبْنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقُلْنَ: إِنَّكَ أَفَظُّ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ

---

٢٣) صحيح البخاري (٥/ ٣٩) برقم(٣٨٢٢)، و مسلم (٤/ ١٩٢٥) برقم(٢٤٧٥).

٢٤) سنن ابن ماجه (٤/ ٤٣٠) برقم(٣٣١٢)، وقال الأرنؤوط: صحيح.

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيهٍ يَا ابْنَ الخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ»(٢٥).

قال تعالى {وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} / آل عمران ١٥٩ / فإنه يقتضي أنه لم يكن فظا ولا غليظا.

إن الناس لو كانوا يجدون وحشةً من رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لم يكونوا يأتونه بهذه الجرأة ولا بهذه الكثرة. وحين يكون الوصول إلى المعلم أو المربي من الصعوبة بمكان فإن حلقات من التربية والتعليم في حياة المتعلم والمتربي ستكون مفقودة لصعوبة الاتصال.

إن الناظر في هدي النبي –صلى الله عليه وسلم– وسيرته يرى صوراً كثيرةً من تبسُّطه –صلى الله عليه وسلم– مع أصحابه مع كثرة أشغاله وجدية حياته، إنه مع ذلك يجد فرصة للمزاح معهم ومخالطتهم والدخول في أحاديثهم واستشارتهم وتسليتهم ومواساتهم.

وحين ندعو إلى الانبساط وإزالة الحواجز مع المتعلم أو المتربي فلسنا نقصد بذلك أن يذوب المربي في شخصية المتربي، أو يذوب المعلم في شخصية المتعلم. مع العلم أن الذوبان وذهاب المهابة لا يقع إلا حين يتخلى المعلم أو المربي عن شخصيته الحقيقية ودوره الحقيقي، وعندها يتحول هذا الأسلوب (الانبساط وإزالة الحواجز) عن كونه سبباً لتحقيق أهداف التربية والتعليم إلى كونه شهوةً ورغبةً وإيناساً للنفس وموافقة للطبع لا غير.

٢٥) صحيح البخاري (٨/ ٢٣) برقم(٦٠٨٥).

رابعاً: الإقناع:

الأصل أن يربى الناس على التسليم للأوامر بالفعل وللنواهي بالترك، لكن بعض النفوس أحياناً قد تكون شاردة تعيش حالة من التصميم حتى ولو كانت على خطأ، ولا يوقظ هذه النفوس إلا شيء من الإقناع، بردّها للجادة، وتأكيد معاني الخير فيها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وُلِدَ لِي غُلَامٌ أَسْوَدُ، فَقَالَ: «هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «مَا أَلْوَانُهَا؟» قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: «هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَأَنَّى ذَلِكَ؟» قَالَ: لَعَلَّهُ نَزَعَهُ عِرْقٌ، قَالَ: «فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ»(٢٦).

والملاحظ هنا في الإقناع النبوي الاستفادة من البيئة المحيطة، وكذا الاستفادة من البدهيات التي يؤمن بها المحاوَر، وهذا في حد ذاته من مؤكدات الإقناع.

- وعند البخاري عن هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَخَذَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كِخْ كِخْ» لِيَطْرَحَهَا، ثُمَّ قَالَ: «أَمَا شَعَرْتَ أَنَّا لاَ نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ» (٢٧).

(كخ) كلمة تقال عند زجر الصبي عن تناول شيء ما. (ليطرحها) ليلقيها من فمه. (أما شعرت) أي كيف خفي عليك.

يا ترى كم كان عمر الحسين بن علي ـ رضي الله عنه ـ وقتئذ؟ لقد مات النبي -صلى الله عليه وسلم- وعمر الحسين لم يجاوز الثامنة؛ ومع ذلك خاطبه -صلى الله عليه وسلم- خطاب الكبار، ومارس معه الإقناع؛ فكأنه يقول له: أنا لم أخرجها من فمك شُحّاً أو طمعاً أو أن فيها ضرراً عليك ـ لا.. إن السبب أنَّا لا نأكل الصدقة.

حين تجد مع ابنك صورة محرمة أو تجد عليه لباساً بعيداً عن روح الإسلام؛ فإن جلسة إقناع تؤكد فيها شخصية المسلم وتميُّزه كافية في التغيير بإذن الله، وعلى أقل تقدير كافية في هز القناعات السابقة وزعزعتها، وهذا سيجعل فرصة التخلي عنها في المستقبل أكبر.

هذه بعض الأساليب النبوية في التربية والتعليم أحببت الإشارة إليها والوقوف معها لما لها من أثر في بناء النفس، وكلي أمل أن أكون أسهمت من خلال هذه الكتابة في تدعيم لبنات الإصلاح المنشود.

---

٢٦) – أخرجه البخاري (٧/ ٥٣) برقم (٥٣٠٥)، ومسلم (٢/ ١١٣٧) برقم (١٥٠٠).

٢٧) أخرجه البخاري (٢/ ١٢٧) برقم (١٤٩١)، ومسلم (٢/ ٧٥١) برقم (١٠٦٩).

خامساً: أسلوب الترغيب والترهيب:

هوا أسلوب يتفق وطبيعة الإنسان حيثما كان وفي أي مجتمع، لأن الفرد إذا استثير شوقه إلى شيء ما، زاد اهتمامه به، فسرعان ما يتحول هذا الشوق إلى نشاط يملأ حياته أهمية وعملا وتعلقا بما تشوق إليه، ورغبة في الحصول عليه، وفي المقابل فإن الخوف من شيء، والتنفير منه، يجعل الفرد يهابه، ويبتعد عنه.

وقد أشار القران الكريم إلى أسلوب الترغيب والترهيب؛ وإلى كيفية استخدامه بما يحقق الغرض منه، ونلمح في هذه الآية الكريمة الترغيب الذي يثير الرجاء في النفس، ويدفع اليأس، ويجدد الأمل، ويثير التطلع إلى الأفضل، قال تعالى:{فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا، يرسل السماء عليكم مدراراً. ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا}(نوح:١٠-١٢)

التشجيع ينقسم إلى قسمين؛ مادي ومعنوي؛ فالتشجيع المادي كالجوائز والهدايا و النقود. والتشجيع المعنوي كالثناء والمدح والإطراء والشكر، والنظر بعين الرضا و الاستحسان و التشجيع المعنوي أفضل استخداما من التشجيع المادي؛ لأن الأول يولد الرغبة و الميل إلى الأعمال التي يشجع عليها الفرد أكثر من الثاني، كما أن الأول يتطور مع مراحل النمو العقلي حتى يصل إلى أعلى درجاته وهي الإقدام على أعمال الفضيلة، أما التشجيع المادي فإن الاستمرار عليه قد يكون له بعض الأضرار؛ لأنه قد يصبح شرطا للقيام بالعمل المطلوب، أو الكف عن العمل غير المرغوب فيه. ولا يعني ذالك أن التشجيع المادي ممنوع في جميع الظروف بل إنه أحيانا يكون مجديا مثل تشجيع الولد بجائزة ما عند حصوله على تقدير مرتفع، أو قيامه بعمل تطوعي.

لعل أكثر ما تعانيه الأجيال كثرة الترهيب والتركيز على العقاب البدني، وهذا يجعل الطفل قاسياً في حياته فيما بعد أو ذليلاً ينقاد لكل أحد، ولذا ينبغي أن يتدرج في العقوبة؛ لأن أمد التربية طويل وسلم العقاب قد ينتهي بسرعة إذا بدأ المربي بآخره وهو الضرب، وينبغي للمربي أن يتيح للشفعاء فرصة الشفاعة والتوسط للعفو عن الطفل، ويسمح له بالتوبة ويقبل منه، كما أن الإكثار من الترهيب قد يكون سبباً في تهوين الأخطاء والاعتياد على الضرب، ولذا ينبغي الحذر من تكرار عقاب واحد بشكل مستمر، وكذلك إذا كان أقل من اللازم، وعلى المربي ألا يكثر من التهديد دون العقاب؛ لأن ذلك سيؤدي إلى استهتاره بالتهديد، فإذا أحس المربي بذلك فعليه أن ينفذ العقوبة ولو مرة واحدة ليكون مهيباً.

والخروج عن الاعتدال في الإثابة يعوِّد على الطمع ويؤدي إلى عدم قناعة الطفل إلا بمقدار أكثر من السابق.

كما يجب على المربي أن يبتعد عن السب والشتم والتوبيخ أثناء معاقبته للطفل؛ لأن ذلك يفسده ويشعره بالذلة والمهانة، وقد يولد الكراهية، كما أن على المربي أن يبين للطفل أن العقاب لمصلحته لا حقداً عليه.

وليحذر المربي من أن يترتب على الترهيب والترغيب الخوف من المخلوقين خوفاً يطغى على الخوف من الخالق _سبحانه_، فيخوّف الطفل من الله قبل كل شيء، ومن عقابه في الدنيا والآخرة، وليحذر أن يغرس في نفسه مراعاة نظر الخلق والخوف منهم دون مراقبة الخالق والخوف من غضبه، وليحذر كذلك من تخويف الطفل بالشرطي أو الطبيب أو الظلام أو غيرها؛ لأنه يحتاج إلى هؤلاء، ولأن خوفه منهم يجعله جباناً.

وبعض المربين يكثر من تخويف الطفل بأن الله سيعذبه ويدخله النار، ولا يذكر أن الله يرزق ويشفي ويدخل الجنة فيكون التخويف أكثر مما يجعل الطفل لا يبالي بذكره النار؛ لكثرة ترديد الأهل "ستدخل النار" أو "سيعذبك الله؛ لأنك فعلت كذا"، ولذا يحسن أن نوازن بين ذكر الجنة والنار، ولا نحكم على أحد بجنة أو نار، بل نقول: إن الذي لا يصلي لا يدخل الجنة ويعذب بالنار.

سادساً: أسلوب الممارسة أو التدريب(العادة)

يتمثل في القيام بعمل من الأعمال عدة مرات، وبالتكرار ويسهل على الفرد ذلك العمل، ويزيد ميله حتى يصبح هذا الميل عادة وهذا الأسلوب – أسلوب التربية بالعادة أو بالتعويد- من الأساليب التربوية الفعالة فهي ((تؤدي مهمة في حياة البشرية، فهي توفير قسطا كبيرا من الجهد البشري- بتحويله إلى عادة سهلة وميسرة-لينطلق هذا الجهد في ميادين جديدة من العمل والإنتاج الإبداع ولولا هذه الموهبة التي أوعدها الله في فطرة البشر، ليقضوا حياتهم يتعلمون المشي أو الكلام أو الحساب.

والإسلام يستخدم الممارسة وسيلة من وسائل تنشئة الفرد المسلم على تلك التكاليف الإسلامية والقيم والآداب الإسلامية، وعلى المربي أن يستخدم أسلوب الممارسة في كافة جوانب تربية الفرد، أي أن التربية بالممارسة لا تقتصر على الشعائر التعبدية وحدها ولكنها تشمل كل أنماط سلوك الحياة، وكل الآداب و الأخلاق، مثل آداب التحية، آداب المشي، وآداب الأكل والشرب، وآداب قضاء الحاجة، وآداب السفر، وآداب زيارة المريض...الخ.

سابعاً: أسلوب ملء الفراغ:

الإسلام يدعو إلى توزيع الوقت بين العبادة والعمل والجاد، والتعلم والتفكير في الكون والمجتمع والإنسان إلى جانب ممارسة الرياضة الهادفة والترويح البريء، وقد أشار احد الباحثين إلى أن: ((الفراغ مفسد للنفس إفساد الطاقة المخزونة بلا ضرورة، وأول مفاسد الفراغ هو تبديد الطاقة الحيوية من ملء الفراغ! ثم التعود على العادات الضارة التي يقوم بها الإنسان لملء هذا الفارغ))(٦٤)، وقد ارشد مربي الإنسانية محمد –

صلى الله عليه وسلم- إلى استغلال الوقت والاستفادة منه، كما في قوله: ((نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ))(٢٨).

وعلى المربي إن يدرك أن أهمية ملء الفراغ لا تقل عن أهمية توجه طاقات الأولاد وتفريغها؛ لأنه أن لم يشغل الفراغ عندهم بالأعمال النافعة، شغل بالشرو الفساد والتفاهة.

ثامناً: استخدام الإشارات كأساليب تعليمية.

كان رسول الله ﷺ يستخدم الحركات والإشارات والتمثيل باليد، حيث كان لها أكبر الأثر في إجادة الأداء، فحركته معبرة تستلفت النظر، وتنبه الغافل، وتعين على الحفظ والتذكر، ومن ذلك:

أولاً: كان يستعمل الإشارة.

فقد كان يستعمل الإشارات النبوية كوسائل تعليمية فعن ابْن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا، وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ الْعَشْرِ مَرَّتَيْنِ، وَهَكَذَا، فِي الثَّالِثَةِ وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ كُلِّهَا وَحَبَسَ، أَوْ خَنَسَ إِبْهَامَهُ(٢٩).

فكان ﷺ إذا أراد القلب أشار إلى صدره كقوله "التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ"... "إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ" (٣٠)

وإذا أراد الملازمة أشار بأصبعيه السبابة والوسطى فعَنْ سَهْلِ بنِ سَعدٍ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "وَأَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ" هَكَذَا وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا.(٣١)

وعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ وَأَصَابِعِي أَقْصَرُ مِنْ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُشِيرُ بِأُصْبُعِهِ يَقُولُ لَا يَجُوزُ مِنْ الضَّحَايَا الْعَوْرَاءُ الْبَيِّنُ عَوَرُهَا وَالْعَرْجَاءُ الْبَيِّنُ عَرَجُهَا وَالْمَرِيضَةُ الْبَيِّنُ مَرَضُهَا وَالْعَجْفَاءُ الَّتِي لَا تُنْقِي(٣٢).

---

٢٨) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٥٧) برقم (٦٠٤٩).

(٢٩) أخرجه مسلم (٣/ ١٢٤) برقم(٢٤٨٠).

(٣٠) أخرجه مسلم (٨/ ١١) برقم(٦٦٣٤)، جزء من حديث أبي هريرة.

(٣١) أخرجه البخاري، (٥/ ٢٠٣٢) برقم(٤٩٩٨).

(٣٢) أخرجه النسائي (٧/ ٢٤٦) برقم(٤٣٨٣).

وإذا أراد التمثيل بالبنيان والتراص شبك بين أصابعه فعَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري ﷺ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا" ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ(٣٣).

وفي تعليم الصلاة فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ الْجَبْهَةِ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ عَلَى أَنْفِهِ وَالْيَدَيْنِ، وَالرِّجْلَيْنِ، وَأَطْرَافِ الْقَدَمَيْنِ، وَلاَ نَكْفِتَ الثِّيَابَ، وَلاَ الشَّعْرَ)(٣٤).

وقوله: (وأشار بيده إلى أنفه) أي مشيرا إلى أن الأنف والجبهة كعضو واحد. (نكفت) نكف. وكان إذا أراد أن يعلمهم العد أشار بأصابعه فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَكَرَ رَمَضَانَ، فَضَرَبَ بِيَدَيْهِ فَقَالَ: الشَّهْرُ هَكَذَا، وَهَكَذَا، وَهَكَذَا، ثُمَّ عَقَدَ إِبْهَامَهُ فِي الثَّالِثَةِ، فَصُومُوا لِرُؤْيَتِهِ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فَإِنْ أُغْمِيَ عَلَيْكُمْ فَاقْدِرُوا لَهُ ثَلاَثِينَ(٣٥).

فكان يشير بيديه الكريمتين ناشرا أصابعه مرتين فهي عشرون. (وخنس الإبهام في الثالثة) أي أشار في المرة الثالثة كما أشار قبلها ولكنه قبض الإبهام فهي تسع فيكون المجموع تسعا وعشرين.

وعن أبي هريرة : عن النبي ﷺ قال (يقبض العلم ويظهر الجهل والفتن ويكثر الهرج). قيل يا رسول الله وما الهرج ؟ فقال هكذا بيده فحرفها كأنه يريد القتل)(٣٦).

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أَنَّهُمْ ذَكَرُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْغُسْلَ مِنَ الْجَنَابَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « أَمَّا أَنَا فَأُفِيضُ عَلَى رَأْسِي ثَلاَثًا ». وَأَشَارَ بِيَدَيْهِ كِلْتَيْهِمَا(٣٧).

ثانياً: الرسم ووسائل الإيضاح:

لقد كان النبي ﷺ يستخدم الرسم والخطوط ليوضح لأصحابه مراده، ومراد قول الله في آياته وخاصة في القضايا الرئيسة والكبيرة، فلما وضح النبي ﷺ طريق الإسلام الحق وتميزه عن طرق الباطل استخدم الرسم لذلك فعَنْ جَابِرِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَخَطَّ خَطًّا وَخَطَّ خَطَّيْنِ عَنْ يَمِينِهِ وَخَطَّ خَطَّيْنِ عَنْ يَسَارِهِ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ فِي الْخَطِّ الْأَوْسَطِ فَقَالَ: "هَذَا سَبِيلُ

---

(٣٣) أخرجه البخاري، (٢/ ٨٦٣) برقم(٢٣١٤)، وفي (٥/ ٢٢٤٢) برقم(٥٦٨٠).

(٣٤) أخرجه البخاري (١/ ٢٨٠) برقم(٧٧٩)، ومسلم (٢/ ٥٢) برقم(١٠٣١).

(٣٥) أخرجه البخاري (٢/ ٦٧٤) برقم(١٨٠٩)، ومسلم (٣/ ١٢٢) برقم(٢٤٦٦).

(٣٦) أخرجه البخاري (١/ ٤٤) برقم(٨٥)، وفي (٥/ ٢٢٤٥) برقم(٥٦٩٠)، ومسلم (٨/ ٥٩) برقم(٦٨٨٦).

(٣٧) أخرجه البخاري (١/ ١٠١) برقم(٢٥١)، ومسلم (١/ ١٧٧)برقم(٦٦٦).

اللَّهِ" ثُمَّ تَـلاَ هَـذِهِ الآيَـةَ "وَأَنَّ هَـذَا صِـرَاطِي مُسْـتَقِيمًا فَـاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُـوا السُّـبُلَ فَتَفَـرَّقَ بِكُـمْ عَـنْ سَبِيلِهِ" (٣٨)

وكـذلك اسـتخدم النـبي ﷺ رسـومات وأشـكال أخـرى توضـح أجـل الإنسـان وأملـه ومـا يُعـرض علـى الإنسـان مـن خـير أو شـر فعَـنْ عَبْـدِ اللَّهِ بـن مَسـعودٍ رضي الله عنه قَـالَ: "خَـطَّ النَّـبِيُّ ﷺ خَطًّـا مُرَبَّعًـا، وَخَـطَّ خَطًّـا فِي الْوَسَـطِ خَارِجًـا مِنْـهُ، وَخَـطَّ خُطَطًـا صِـغَارًا إِلَى هَـذَا الَّـذِي فِي الْوَسَـطِ مِـنْ جَانِبِـهِ الَّـذِي فِي الْوَسَـطِ، وَقَـالَ: "هَـذَا الْإِنْسَـانُ؛ وَهَـذَا أَجَلُـهُ مُحِـيطٌ بِـهِ؛ (أَوْ قَـدْ أَحَـاطَ بِـهِ) وَهَـذَا الَّـذِي هُـوَ خَـارِجٌ أَمَلُـهُ، وَهَـذِهِ الْخُطَـطُ الصِّـغَارُ الأَعْـرَاضُ؛ فَـإِنْ أَخْطَـأَهُ هَـذَا نَهَشَـهُ هَـذَا وَإِنْ أَخْطَـأَهُ هَـذَا نَهَشَهُ هَذَا"(٣٩).

إن ممـا يسـاعد في إدراك الأمـور المجـردة لقضـايا الإيمـان توضـيحها بـبعض الوسـائل المعينـة، كالرسـوم ونحوهـا، ولم يكـن رسـول الله ﷺ يغفـل هـذا الجانـب لتوضـيح بعـض كقضـايا الإيمـان، ومـن ذلـك مـا ورد في حـديث عبـدالله بـن مسعود(رضـي الله عنـه) قـال:خط النـبي ﷺ خطـاً مربعـاً وخـط خطـاً في الوسـط، خارجـا منـه، وخـط خططـاً صـغاراً، إلى هـذا الـذي في الوسـط، مـن جانبـه الـذي في الوسـط، وقـال:)) هـذا الإنسـان وهـذا أجلـه محيط بـه -أو قـد أحـاط بـه- وهـذا الـذي هـو خـارج أملـه، وهـذه الخطـط الصـغار الأعـراض، فـإن أخطـأه هـذا، نهشـه هـذا، وإن أخطـأه هـذا نهشـه هذا(٤٠)

وقد مثل الحافظ ابن حجر في كتابه الفتح هذه الخطوط على النحو التالي:

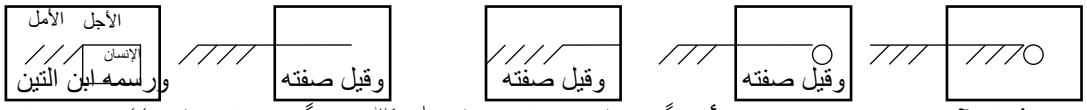

وفي تمثيل آخر يروي ابن مسعود أيضاً فيقول: خط رسول الله ﷺ خطاً بيده ثم قال:))هذا سبيل الله مستقيما((. قال ثم خط عن يمينه وشماله، ثم قال:))هذه السبل، وليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ {وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل}(٤١).

ويمكن تمثيل هذا الخط على النحو التالي:

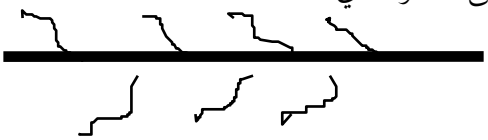

(٣٨) أخرجه أحمد في مسنده (٣٩٧/٣) رقم (١٥٣١٢).

(٣٩) صحيح البخاري (٥/ ٢٣٥٩) برقم(٦٠٥٤).

٤٠)) أخرجه البخاري ،الجامع الصحيح، كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله ١٧٦/٤ .

(٤١) أخرجه أحمد في المسند(٧/ ٤٣٦) برقم(٤٤٣٧)، وقال الشيخ شعيب : حسن.

وهذه الخطوط لها أكبر الأثر في تصوير الغائب في صورة المشاهد.

المبحث الثالث: أسلوبه ﷺ في التعليم.

لا شك أن النبي ﷺ كان ولا يزال المعلم الأول للمسلمين، ومن طريقته في التعليم يستفيد المعلمون والمربون في كل عصر ومصر، وكانت له طريقة متميزة في التعليم، ومن أهداف معرفة المنهج النبوي امتثال القدوة لكل أفراد المجتمع، هاك بعض الأمور التي توضح طريقته في التعليم:

أولاً: الحث على طلب العلم:

كان من منهجه ﷺ حث الصحابة على تعلم العلم النافع، وجعله من باب الاغتباط في الأمور النافعة، فلا فضل يفوق صاحب القرآن، فعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ؛ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا"(٤٢).

بل وجعله من الأعمال التي تبقى بعد الموت، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ" (٤٣). فانظر هنا إلى هذا الترغيب في طلب العلم ونشره ففضله لا ينقطع حتى بعد الموت.

ثانياً: مخاطبة الناس على قدر عقولهم:

كان النبي ﷺ يخاطب الناس على قدر عقولهم، فإن الكلام الذي لا يبلغ عقول السامعين ولا يفهمونه قد يكون فتنة لهم، فيأتي بغير المقصود، ولقد كان الرسول المعلم يخاطب حضوره بما يدركونه، فيفهم البدوي الجافي بما يناسب جفاءه وقسوته، ويفهم الحضري ما يلاءم حياته وبيئته، كما أنه يراعي تفاوت المدارك.

وقد ساق البخاري في كتاب العلم باباً قال: "بَاب مَنْ تَرَكَ بَعْضَ الِاخْتِيَارِ مَخَافَةَ أَنْ يَقْصُرَ فَهْمُ بَعْضِ النَّاسِ عَنْهُ فَيَقَعُوا فِي أَشَدَّ مِنْهُ".

---

(٤٢) أخرجه البخاري، في (١/ ٣٩) برقم(٧٣)، وفي (٢/ ٥١٠) برقم(١٣٤٣)، وفي (٤/ ١٩١٩) برقم(٤٧٣٨)، وفي (٦/ ٢٦١٢) برقم(٦٧٢٢)، وفي (٦/ ٢٦٦٨) برقم(٦٨٨٦)، وفي (٦/ ٢٧٣٧) برقم(٧٠٩١)، ومسلم (٢/ ٢٠١) برقم(١٨٤٦).

(٤٣) أخرجه مسلم، (٨/ ٦٥) برقم(٦٩١٧).

ثم ساق بإسناده إلى الْأَسْوَدِ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ الزُّبَيْرِ: كَانَتْ عَائِشَةُ تُسِرُّ إِلَيْكَ كَثِيرًا فَمَا حَدَّثَتْكَ فِي الْكَعْبَةِ قُلْتُ: قَالَتْ لِي: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يَا عَائِشَةُ لَوْلَا قَوْمُكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ بِكُفْرٍ لَنَقَضْتُ الْكَعْبَةَ، فَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ بَابٌ يَدْخُلُ النَّاسُ، وَبَابٌ يَخْرُجُونَ، فَفَعَلَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ(٤٤).

قال ابن بطال: "فيه أنه قد يترك يسير من الأمر بالمعروف إذا خشي منه أن يكون سبباً لفتنة قوم ينكرونه"(٤٥).

وفيه أن النفوس تحب أن تساس كلها لما تأنس إليه في دين الله من غير الفرائض.

قال النووي: "فيه أنه إذا تعارضت مصلحة ومفسدة، وتعذر الجمع بين فعل المصلحة وترك المفسدة بدأ بالأهم، لأن النبي ﷺ أخبر أن رد الكعبة إلى قواعد إبراهيم عليه السلام مصلحة، ولكن يعارضه مفسدة أعظم منه، وهي خوف فتنة بعض من أسلم قريباً لما كانوا يرون تغييرها عظيماً فتركها النبي ﷺ"(٤٦).

وفيه فكر ولي الأمر في مصالح رعيته، واجتناب ما يخاف منه تولد ضرر عليهم في دين أو دنيا إلا الأمور الشرعية كأخذ الزكاة وإقامة الحد.

وفيه تأليف قلوبهم وحسن حياطتهم وأن لا ينفروا ولا يتعرض لما يخاف تنفيرهم بسببه ما لم يكن فيه ترك أمر شرعي(٤٧).

واعتبر كثير من العلماء هذا الحديث وغيره من أعمدة الموازنة بين المصالح، وأنه لابد من تقييم قدرة فهم السمع للعلم والدليل خوفاً من الوقوع بما هو أشد لقصور فهمه عنه.

وساق البخاري أيضاً في كتاب العلم باباً آخر عنوانه: "بَاب مَنْ خَصَّ بِالْعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ كَرَاهِيَةَ أَنْ لَا يَفْهَمُوا".

ثم أخرج بسنده إلى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَمُعَاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ قَالَ: يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ. قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: يَا مُعَاذُ. قَالَ:لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلَاثًا. قَالَ: مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ

---

٤٤) صحيح البخاري ٣٧/١ برقم(١٢٦)، ومسلم (٩٦٨/٢) برقم(١٣٣٣).

٤٥) شرح صحيح البخارى . لابن بطال - (١ / ٢٠٥).

٤٦) شرح النووي على مسلم - (٩ / ٩٢).

٤٧) عمدة القاري شرح صحيح البخاري - (٣ / ٤١٦).

اللَّهُ عَلَى النَّارِ. قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا. قَالَ: إِذًا يَتَّكِلُوا، وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا(٤٨).

فيه أنه يجب أن يخص بالعلم قوم فيهم الضبط وصحة الفهم ولا يبذل المعنى اللطيف لمن لا يستأهله من الطلبة ومن يخاف عليه الترخص والاتكال لتقصير فهمه...

وفيه تكرار الكلام لنكتة وقصد معنى (٤٩).

فقوله: فأخبر بها معاذ عند موته تأثما معنى التأثم التحرج من الوقوع في الإثم.. وإنما خشي معاذ من الإثم المرتب على كتمان العلم، وكأنه فهم من منع النبي ﷺ أن يخبر بها إخباراً عاماً، لقوله: أفلا أبشر الناس فأخذ هو أولاً بعموم المنع[فلم يخبر بها أحداً، ثم ظهر له أن المنع إنما هو من الأخبار عموماً فبادر قبل موته فأخبر بها خاصاً من الناس فجمع بين الحكمين، ويقوى ذلك أن المنع لو كان على عمومه في الأشخاص لما أخبر هو بذلك، وأخذ منه أن من كان في مثل مقامه في الفهم أنه لم يمنع من إخباره(٥٠).

ومما يدل على أن النبي ﷺ كان يراعي حال السامع ومقدار فهمه ما رواه أَبو هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلاَمًا أَسْوَدَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟. قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَمَا أَلْوَانُهَا ؟. قَالَ حُمْرٌ. قَالَ: هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ ؟. قَالَ: إِنَّ فِيهَا لَوُرْقاً. قَالَ: فَأَنَّى أَتَاهَا ذَلِكَ؟. قَالَ: عَسَى أَنْ يَكُونَ نَزَعَهُ عِرْقٌ. قَالَ: وَهَذَا عَسَى أَنْ يَكُونَ نَزَعَهُ عِرْقٌ)(٥١).

فهذا الرجل لديه الإبل فقرب إليه الحكم بأمر يدركه عقله، ولا يعلو على فهمه.

من خلال هذه الأحاديث نرى أنه ﷺ كان يخاطب الناس على قدر عقولهم وذلك أن المستمع إذا ما تلقى علماً لا يستوعبه أو أن حدود تجاربه الحيوية وطبيعته النفسية والحياتية وقدراته الفهمية والثقافية ومدركاته العقلية لا تستطيع إدراكه فإنه يؤدي به إلى عدم التوازن.

ولذلك قيل: (كل – بكسر الكاف – لكل عبد بمعيار عقله وزن له بميزان فهمه حتى تسلم منه وينتفع بك، وإلا وقع الإنكار لتفاوت المعيار)(٥٢).

---

٤٨) أخرجه البخاري (١ / ٣٧) برقم(١٢٨)، ومسلم (١ / ٦١) برقم(٣٢).

٤٩) عمدة القاري شرح صحيح البخاري – (٣ / ٤٢٨).

٥٠) فتح الباري (١ / ٢٢٨).

(٥١) أخرجه مسلم (٥/ ٢٠٣٢) برقم(٤٩٩٩).

٥٢) فيض القدير – (٦ / ٥٣٢).

ومخاطبة الناس على قدر عقولهم لها أبلغ الأثر في المستمع حتى لا ينفض من سماع الحكم الشرعي, فالأسلوب الذي لا يناسب المستمع يكون فتنة عليه.

ومما يدلل على أن الحديث الذي يعلو على فهم المستمع يكون له فتنة ما أخرجه الإمام مسلم في مقدمة صحيحه باب النهي عن الحديث بكل ما سمع عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ ».(٥٣)".

قال النووي: "..ففيه الزجر عن التحديث بكل ما سمع الإنسان، فإنه يسمع فى العادة الصدق والكذب، فإذا حدث بكل ما سمع، فقد كذب لإخباره بما لم يكن"(٥٤).

فالناس أصناف منهم العوام وكل صعوبة أو تعقيد قد يصرفهم عن الشرع. وهؤلاء لا تلقى عليهم المسائل العويصة، والتفاصيل الدقيقة، والبراهين المعقدة، وهذا الصنف يحتاج إلى تقريب المسائل بصورة كبيرة. فهم يعتمدون على الحس والتأثير أكثر مما يعتمدون على جمع الأدلة وخلافات الأقوال.

ومنهم المتعلمون وهؤلاء يبحثون عن التحليل والاستنتاج والمعنويات ودلائل الإعجاز، وعند مخاطبتهم فإنه لابد من مراعاة ذلك.

فنبينا ﷺ علمنا أن نحدث كل شخص بما يتناسب وطبيعته، ونقرب له الحكم بطريقة يدركها ولا تعلوا على فهمه، وهذا ليس لأهل زمانه فحسب بل لأهل كل زمان ومكان.

ثالثاً: مخاطبة الناس بلهجاتهم:

إن النبيّ عليه الصلاة والسلام كان يخاطب الناس بلغاتهم ولهجاتهم أحياناً؛ وذلك ليقرّب مفهوم الحديث ومعناه الذي يريد توصيله إليهم؛ وليسهل عليهم معرفة الحكم الشرعي.

ومن هذا ما رواه الإمام أحمد عن كَعْبِ بْنِ عَاصِمٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: لَيْسَ مِنْ امْبِرِّ امْصِيَامُ فِي امْسَفَرِ (٥٥).

أي: ليس من البر الصيام في السفر. فانظر كيف استعمل هذه اللهجة، وترك لهجته القرشية، وذلك من أجل أن يفهم أهل هذه القبيلة ما يريد أن يبلغهم إياه.

---

٥٣) صحيح مسلم (١ / ١٠)، وأبو داود (٤ / ٤٥٥) برقم(٤٩٩٤).

٥٤) شرح النووي على مسلم – (١ / ٧٥).

(٥٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥/ ٤٣٤ ح (٢٣٧٢٩) وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح.

فهذه لغة لبعض أهل اليمن يجعلون لام التعريف ميماً، ويحتمل أن يكون النبي ﷺ خاطب بها هذا الأشعري لأنها لغته....([٥٦]).

فهذا حكم شرعي خاطب به هؤلاء بلغتهم حتى يعرفوه، فعلى المفتى أن يتقن لغة من يفتيهم حتى يفهموا ما يريد أن يبلغهم إياه، ولا شك أن الأمة الآن بحاجة إلى من يتقن اللغات حتى تصل الأحكام إلى كل إنحاء الدنيا.

٥٦) التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير - (٢ / ٤٤٩) وانظر: تحفة الأحوذي - (٣ / ٣٢٤).

رابعاً: تكرار الكلام ليتأكد من بلوغه للسامع وفهمه له.

كان ﷺ إذا تكلم تكلم ثلاثاً لكي يفهم عنه، فعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ (أَنَّهُ كَانَ إِذَا سَلَّمَ سَلَّمَ ثَلاَثًا، وَإِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاَثًا)(٥٧)؛ وكان إذا تكلم تكلم فصلاً يبينه، فيحفظه من سمعه فعَنْ عَائِشَةَ – رضي الله عنها – أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُحَدِّثُ حَدِيثاً لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لأَحْصَاهُ(٥٨).

وبهذا الأسلوب الواضح المتأني، وبهذا التكرار المفيد، يستوعب الصحابة الحديث فيحفظونه، وتثبت ألفاظه ومعانيه في العقل، وتنغرس الأفكار والألفاظ في النفوس، ويتمثلون حديث رسول الله عملاً وتطبيقاً في مجال حياتهم، ثم تصل إلينا نقية، لا شائبة فيها، حية بحيوية حامليها.

ومن الأحاديث التي ترى فيها هذا التكرار:

حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: رغِم أنفُ، ثُمَّ رَغِمَ أنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أنْفُ مَنْ أدْرَكَ أبَويهِ عِنْدَ الكِبَرِ، أَحَدهُما أَوْ كِليهمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ (٥٩).

وقد نجده ﷺ يردد الكلمة دون تحديد عدد، لبيان أهميتها كما في حديث أَبِي بَكْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ، فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ (٦٠).

فقد كرر رسول الله ﷺ قول الزور كثيراً حتى ضج بعض الصحابة، ورجوا أن يسكت لما نالهم من خوف شديد لتهديده قائلي الزور، وخوفٍ شديد على رسول الله ﷺ أن يناله الأسى.

وفي التكرار ما فيه من فوائد للمعلم والمتعلم، فإذا تكررت الكلمة حفظت لأن من الحاضرين من يقصر فهمه، فيكرره ليرسخ في الذهن، وهو من الأساليب المفيدة في التعليم.

فإعادة الكلام المهم الذي يصعب على بعض الجالسين فهمه من أول وهلة أو لأول مرة، يكون لغرض التفهيم، فإذا فهمت لا يحتاج إلى إعادة، وإنما الإعادة للتفهيم.

---

(٥٧) أخرجه البخاري في كتاب العلم- باب من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه (١/ ٤٨) برقم (٩٤).

(٥٨) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٠٧) برقم (٣٣٧٤)، ومسلم (٤/ ٢٢٩٨) برقم(٢٤٩٣).

٥٩) أخرجه (٤ / ١٩٧٨)برقم(٢٥٥١).

٦٠) أخرجه (٨ / ٤) برقم(٥٩٧٦).

وكذلك فإن الإعادة أقصاها ثلاث مرات، وأما الإعادة الكثيرة أكثر من ثلاث قد تمل، فالمسألة وسط لا إفراط ولا تفريط.

فالحكم الشرعي قد لا يفهمه الشخص من المرة الأولى، ومن ثم يحتاج إلى إعادة وتكرار.

فالتكرار ليصل المعنى إلى الجميع. ولزيادة إفهام الحاضرين الذين يصلهم الحكم بكامله، ولتأكيد بعض المفاهيم الإسلامية، وليتخذ صفة القانون الأخلاقي أو التاريخي الذي ينطبق على كل الوقائع والأحداث.

خامساً: إجابة السائل بأكثر مما سائل:

وذلك لزيادة الفائدة؛ فقد كان ﷺ يبين للناس الأحكام جيداً حتى لا يبقى لسامع سؤال، ولا لسائل مشكل يقف عنده، حتى إنه كان يجيب السائل بأكثر مما سائله.

مثال ذلك: ما روي عن أبي هريرة قال: سَأَلَ رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَرْكَبُ الْبَحْرَ وَنَحْمِلُ مَعَنَا الْقَلِيلَ مِنْ الْمَاءِ فَإِنْ تَوَضَّأْنَا بِهِ عَطِشْنَا أَفَنَتَوَضَّأُ بِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ(٦١).

مع أنه سئل عن ماء البحر وطهارته فزاد حكماً آخر، وهو أن ميتته حلال، وهذا من حكمته في الجواب، حتى يستفيد السائل وغيره أحكاماً قد تدور ببالهم.

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: "أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ مَا يَلْبَسُ الْمُحْرِمُ فَقَالَ: "لاَ يَلْبَسُ الْقَمِيصَ وَلاَ الْعِمَامَةَ وَلاَ السَّرَاوِيلَ وَلاَ الْبُرْنُسَ (٦٢) وَلَا ثَوْبًا مَسَّهُ الْوَرْسُ (٦٣) أَوْ الزَّعْفَرَانُ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ النَّعْلَيْنِ فَلْيَلْبَسْ الْخُفَّيْنِ وَلْيَقْطَعْهُمَا حَتَّى يَكُونَا تَحْتَ الْكَعْبَيْنِ (٦٤)

ترجم البخاري لهذا الحديث بقوله: (بَاب مَنْ أَجَابَ السَّائِلَ بِأَكْثَرَ مِمَّا سَأَلَهُ) (٦٥)

وقال ابن حجر: وَيُؤْخَذ مِنْهُ أَيْضًا أَنَّ الْمُفْتِي إِذَا سُئِلَ عَنْ وَاقِعَة وَاحْتَمَلَ عِنْده أَنْ يَكُون السَّائِل يَتَذَرَّع بِجَوَابِهِ إِلَى أَنْ يُعَدِّيَهُ إِلَى غَيْر مَحَلّ السُّؤَال تَعَيَّنَ عَلَيْهِ أَنْ يُفَصِّل الْجَوَاب , وَلِهَذَا

---

(٦١) أخرجه أبو داود (٦٩/١) برقم(٨٣)، والترمذي (١٠/١) برقم (٦٩)، وقال: حسن صحيح.

(٦٢) هو كل ثوب رأسُه منه مُلْتَزق به من دُرّاعة أو جَبّة أو مِمْطَرٍ أو غيره وهو قَلَنْسُوَة طويلة كان النُّسَاك يلبَسونها في صدر الإسلام وهو من البِرْس [انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٠٨/١).

(٦٣) الوَرْسُ : نَبْتٌ أصْفَرُ يُصْبَغ به. وقد أوْرَس المكانُ فهو وَارِس [النهاية في غريب الأثر (٣٨٢/٥).

(٦٤) أخرج: البخاري (١/ ٦٢) برقم(١٣٤).

(٦٥) صحيح البخاري (٣٩/١).

قَـالَ: " فَـإِنْ لَمْ يَجِـدْ نَعْلَـيْنِ " فَكَأَنَّـهُ سَـأَلَ عَـنْ حَالَـةِ الِاخْتِيَـارِ فَأَجَابَـهُ عَنْهَـا وَزَادَهُ حَالَـةَ الاضْطِرَارِ(٦٦)

عَـنْ أُمِّ سَـلَمَةَ قَالَـتْ جَـاءَتْ أُمُّ سُـلَيْمٍ إِلَى رَسُـولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَـتْ يَا رَسُـولَ اللَّهِ: "إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْـتَحْيِي مِـنَ الْحَـقِّ فَهَـلْ عَلَى الْمَـرْأَةِ مِـنْ غُسْـلٍ إِذَا احْتَلَمَـتْ"؟ قَـالَ النَّـبِيُّ ﷺ: "إِذَا رَأَتْ الْمَـاءَ". فَغَطَّـتْ أُمُّ سَـلَمَةَ تَعْـنِي وَجْهَهَـا وَقَالَـتْ: "يَا رَسُـولَ اللَّهِ أَوَتَحْـتَلِمُ الْمَـرْأَةُ" قَـالَ: "نَعَـمْ تَرِبَـتْ يَمِينُـكِ؛ فَبِمَ يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا"؟! (٦٧)

وهنا النبي ﷺ أجاب على سؤال أم سُليم، وأجاب على سؤال أم سلمة بأن المرأة تحتلم، ويزيد لها ولأم سُليم أن ماء المرأة سبب للشبه بين الأم وولدها.

سادساً: توخي منهج التيسير والرحمة والبعد عن التعسير والشدة:

كـان ﷺ يأمـر بالتيسـير، وينهـى عـن التشـديد والتعقيـد، يحـب أن يأخـذ المسـلمون بالـرخص كمـا يأتون بالعزائم، وينهى عن التضييق في الأحكام، وقد كان ﷺ يدعو إلى التيسير دائماً.

مـن ذلـك مـا أخرجـه الترمـذي عَـنْ جَـابِرِ بْـنِ عَبْـدِ اللَّهِ: أَنَّ رَسُـولَ اللَّهِ ﷺ خَـرَجَ إِلَى مَكَّـةَ عَـامَ الْفَـتْحِ فَصَـامَ حَـتَّى بَلَـغَ كُـرَاعَ الْغَمِـيمِ(٦٨) وَصَـامَ النَّـاسُ مَعَـهُ فَقِيـلَ لَـهُ: إِنَّ النَّـاسَ قَـدْ شَـقَّ عَلَـيْهِمْ الصِّـيَامُ، وَإِنَّ النَّـاسَ يَنْظُـرُونَ فِيمَـا فَعَلْـتَ، فَـدَعَا بِقَـدَحٍ مِـنْ مَـاءٍ بَعْـدَ الْعَصْـرِ فَشَـرِبَ وَالنَّـاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَأَفْطَرَ بَعْضُهُمْ وَصَامَ بَعْضُهُمْ فَبَلَغَهُ أَنَّ نَاسًا صَامُوا فَقَالَ أُولَئِكَ الْعُصَاةُ.(٦٩).

فكان رفيقاً بالمسلمين لا سيما الذين يجهلون الأحكام، أو من كان حديث عهد بالإسلام.

وعـن أَبِي هُرَيْـرَةَ قَـالَ: قَـامَ أَعْـرَابِيٌّ فَبَـالَ فِي الْمَسْـجِدِ فَتَنَاوَلَـهُ النَّـاسُ، فَقَـالَ لَهُـمُ النَّـبِيُّ ﷺ « دَعُـوهُ وَهَرِيقُـوا عَلَـى بَوْلِـهِ سَـجْلاً مِـنْ مَـاءٍ، أَوْ ذَنُـوباً مِـنْ مَـاءٍ، فَإِنَّمَـا بُعِثْـتُمْ مُيَسِّـرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُـوا مُعَسِّـرِينَ ».(٧٠)

---

(٦٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/٢٣١).

(٦٧) متفق عليه. صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الحياء في العلم، رقم ١٣٠. صحيح مسلم، كتاب الحيض باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها، رقم ٣١٣

(٦٨) بِضَمِّ الْكَافِ وَالْغَمِيمُ بِفَتْحِ الْمُعْجَمَةِ وهِيَ نَعْفٌ مِنْ حَرَّةِ ضَجَنَانَ ، تَقَعُ جَنُوبَ عُسْفَانَ بِسِتَّةَ عَشَرَ كَيْلًا عَلَى الْجَادَّةِ إِلَى مَكَّةَ ، أَيْ عَلَى (٦٤) كَيْلًا مِنْ مَكَّةَ عَلَى طَرِيقِ الْمَدِينَةِ ، وَتُعْرَفُ الْيَوْمَ بِبَرَقَاءِ الْغَمِيمِ ، ذَلِكَ أَنَّهَا بَرْقَاءُ فِي تَكْوِينِهَا. وَالْبَرْقَاءُ وَالْأَبْرَقُ وَالْبُرْقَةُ : مُرْتَفَعٌ تَخْتَلِطُ فِيهِ الْحِجَارَةُ بِالرَّمْلِ . (المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية ١ ٣٨٨، معجم البلدان ٤/ ٢١٤).

٦٩) أخرجه (٣/٨٩) برقم(٧١٠)، وقال: حسن صحيح .

(٧٠) أخرجه (١/ ٨٩) برقم (٢١٧).

وفيه الرفق في إنكار المنكر، وتعليم الجاهل، واستعمال التيسير، وإنكار التعسير.

سابعاً: استخدام الشدة عند الحاجة.

فقد كان ﷺ كالطبيب المعالج، فالطبيب الذي يعطي للمريض الإبرة يعلم تمام العلم أن الإبرة تؤلمه وتوجعه، والطبيب الذي يقضي ببتر ساق المريض يعلم أن بتر الساق يؤلم؛ ولكنه لدفع شر أعظم، وقد استعمل رسول الله ﷺ شيئاً من ذلك، فقال: (مَنْ تَعَزَّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعِضُّوهُ وَلَا تَكْنُوا)(٧١).

إذاً: يجوز استعمال كلمات شديدة، على ألا تكون ديدناً متبعاً في كل الأحيان، بل عند وجود المرض فقط، إذا كان الذي أمامك لا ينزجر إلا بكلمة شديدة فاشتدّ حينئذ حتى ينزجر ثم ارجع إلى مقامك الأول من حسن الخلق وطيب الكلام.

وفي صحيح مسلم عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ نَزَلَتْ فِيَّ أَرْبَعُ آيَاتٍ أَصَبْتُ سَيْفًا فَأَتَى بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَفِّلْنِيهِ. فَقَالَ: ضَعْهُ ثُمَّ قَامَ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: ضَعْهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ، ثُمَّ قَامَ فَقَالَ: نَفِّلْنِيهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ: ضَعْهُ فَقَامَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَفِّلْنِيهِ أَوُجْعَلُ كَمَنْ لَا غَنَاءَ لَهُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: ضَعْهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ قَالَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ يَسْأَلُونَكَ عَنْ الْأَنْفَالِ قُلْ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ(٧٢).

فينتقل الأسلوب ويتغير على حسب حال من هو أمامك، إذا احتاج إلى شدة استعملت معه، وإلا رجعنا إلى أصلنا من الكلم الطيب والحديث الحسن العذب.

فالمفتي كالوالد الذي يعاقبه ولده على إهماله أو تقصيره، فيقسو عليه حِرْصاً على ما يُصلحه من باب: فَقَسَا لِيَزْدَجِرُوا وَمَنْ يَكُ حَازِماً... فَلْيَقْسُ أَحْيَاناً على مَنْ يَرْحَمُ(٧٣)

بل قد يستعمل الشدة في الحكم فحين تعرض يوما لمن يتركون صلاة الجماعة فقال كما في حديث أبي هريرة: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحَطَبٍ فَيُحْطَبَ، ثُمَّ آمُرَ بِالصَّلَاةِ فَيُؤَذَّنَ لَهَا، ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيَؤُمَّ النَّاسَ، ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ)(٧٤).

---

٧١) أخرجه أحمد في المسند (٣٥ / ١٤٢) ح (٢١٢١٨)، والبخاري في " الأدب المفرد " (٩٦٣ ، ٩٦٤) والنسائي (٥ / ٢٧٢) برقم(٨٨١٣) كلهم عن أبي، وصححه الألباني .(السلسلة الصحيحة (١ / ٢٦٨).

٧٢) صحيح مسلم (٣ / ١٣٦٧) برقم(١٧٤٨).

٧٣) ديوان أبي تمام – (ص٢٠٧).

(٧٤) أخرجه البخاري (١ / ١٣٠) برقم (٦٤٤)، ومسلم (١ / ٤٥١) برقم(٦٥١).

فمما تقدم من الأحاديث يُعلم أن الشريعة الإسلامية الكاملة جاءت باللين في محله والغلظة والشدة في مجالهما، فعلى المفتي أن ينظر في حال المستفتي وقبل الفعل وبعد الفعل.

ثامناً: التدرج في إيصال المعلومة:

لقد كان هدي نهج النبي ﷺ التدرج في التعليم وكان يعلم أصحابه ذلك فعن ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: "إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ" (٧٥).

فانظر إلى هذا التدرج في تبليغ الدعوة، ولو جربوه المعلمون لوجدوا فوائده وثماره.

تاسعاً: مراعاة الفروق الفردية:

لقد كان النبي ﷺ يراعي فروق المتعلمين الفردية فيخصهم بعلم دون غيرهم فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، وَمُعاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ قَالَ: "يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ"! قَالَ: "لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ"، قَالَ: "يَا مُعَاذُ" قَالَ: "لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ" ثَلَاثًا قَالَ: "مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلاَّ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ" قَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلاَ أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا"، قَالَ: "إِذًا يَتَّكِلُوا". وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا (٧٦)

ولقد ترجم البخاري لهذا الحديث بقوله: "بَاب مَنْ خَصَّ بِالْعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ كَرَاهِيَةَ أَنْ لاَ يَفْهَمُوا" (٧٧).

وفي هذا الحديث دليل على أسلوب جديد للنبي ﷺ وهو منع الطلاب من التلبيغ لبعض العلم؛ لذا فهم معاذ هذا الأمر ولم يخبر بالحديث إلا عند موته تأثمًا.

---

(٧٥) أخرجه البخاري (٢/ ٥٢٩) برقم(١٣٨٩)، وفي (٢/ ٥٤٤) برقم(١٤٢٥)، وفي (٤/ ١٥٨٠) برقم(٤٠٩٠)، ومسلم (١/ ٣٧) برقم(٢٩).

(٧٦) أخرجه البخاري (١/ ٥٩) برقم(١٢٨).

(٧٧) صحيح البخاري باب ٤٩ (١/ ٥٩).

ولقد فقه الصحابة هذا الأسلوب وعملوا به؛ فهذا أبو هريرة ﷺ يقول: "حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وِعَاءَيْنِ فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ وَأَمَّا الآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ" (٧٨).

وكذلك فقهَ عَبْدُ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ ﷺ فقَالَ: "مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لاَ تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلاَّ كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً" (٧٩).

عاشراً: الحوار والمناقشة:

من أفضل الأساليب وأنفعها أسلوب الحوار والمناقشة فهو أسلوب محبب إلى النفوس، يجعلها تنشط لما يقال، فضلاً عن ذلك فهو يدفع الملل والكآبة، ويلفت الانتباه، ويشجع الإقبال على المتكلم، ويجعل الذهن حاضراً.

ولقد استعمل النبي ﷺ هذا الأسلوب ليثير السامعين فقد كان يحكي السؤال بأسلوب مشوق يرغبهم في معرفة الجواب فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ"؟! قَالُوا: "بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ". قَالَ: "إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ" (٨٠)

وأحيانًا يسأل النبي ﷺ ويجيب على شكل حوار فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ، أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ" (٨١)

وأحيانًا يوجه النبي ﷺ سؤالاً ويستمع إلى أجوبة الصحابة ثم يناقشهم في أجوبتهم ثم يخلص إلى الصواب فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ"؟ قَالُوا: "الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ". فَقَالَ: "إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ؛ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ" (٨٢).

---

(٧٨) صحيح البخاري (١/ ٥٦) برقم(١٢٠).

(٧٩) أخرجه مسلم، المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، رقم ٥.

(٨٠) أخرجه مسلم، (١/ ١٥٠) برقم(٥٠٨).

(٨١) أخرجه مسلم، (١/ ٥٣) برقم(١٠٤).

(٨٢) أخرجه مسلم، (٨/ ١٨) برقم(٦٦٧١).

حادي عشر: ربط المنهاج بأمثلة تصويرية لتقريب الفهم:

كان النبي ﷺ يقرب للصحابة الأمور التي تخفى عليهم عن طريق ضرب الأمثلة، والأمثلة الدالة على هذا الأسلوب كثيرة ومتعددة نكتفي بذكر حديث واحد يمثل صورة قصصية رائعة فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ؛ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلاَةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا؛ ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: "اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ" أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ"(٨٣)

ومن الأمور المهمة في هذه المسألة أن يكون المَمثل به أمراً معروفاً ومشهوراً لدى الممثل لهم، لتتم الفائدة، كما كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يمثل لأصحابه بالنخلة والتمر، والبعير، والشوك. ومن أمثلته (صلى الله عليه وسلم) في توضيح الإيمان ما رواه الشباب أنفسهم، فقد مثل بالزرع كما في حديث كَعْبِ بن مالك قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ، تُفِيئُهَا الرِّيحُ، تَصْرَعُهَا مَرَّةً وَتَعْدِلُهَا أُخْرَى، حَتَّى تَهِيجَ، وَمَثَلُ الْكَافِرِ كَمَثَلِ الأَرْزَةِ الْمُجْذِيَةِ عَلَى أَصْلِهَا، لاَ يُفِيئُهَا شَيْءٌ، حَتَّى يَكُونَ انْجِعَافُهَا مَرَّةً وَاحِدَةً(٨٤).

ومثل بالشاة كما في صحيح مسلم من حديث ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: مَثَلُ الْمُنَافِقِ، كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ(٨٥) بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً(٨٦).

إلى غير ذلك من الأمثلة التي تجعل الغائب في صورة المشاهد، والمحسوس في صورة الملموس.

ومن جوانب الحكمة النبوية في التمثيل ما يلي:-

(١) الأمور الحسية الممثل بها من واقع المجتمع الذي كان يعيشه الصحابة في ذلك الوقت.

(٢) بيان الفارق بين الممثل والممثل به.

---

(٨٣) أخرجه مسلم، (٨/ ٩٣) برقم(٧٠٦٠).

(٨٤) أخرجه البخاري (٥/ ٢١٣٨) برقم(٥٣٢٠)، من حديث أبي هريرة، ومسلم (٨/ ١٣٦) برقم(٧١٩٦) واللفظ له.

(٨٥) أي المتَرَدّدَة بين قَطِيعَين, لا تَدْرِي أيّهُما تَتْبَعُ .

(٨٦) أخرجه مسلم (٨/ ١٢٤) برقم(٧١٤٤).

(٣) التأكد من معرفة الممثل لهم بالمثل المضروب.

ثاني عشر: المدح والإطراء للتشجيع والتحفيز:

لقد كان النبي ﷺ يمتدح الخير في أصحابه ويذكر فضلهم، ومما لا يخفى أن كتب السنن والجوامع من مصنفات الحديث حوت كتبًا باسم المناقب، وفضائل الصحابة جمعت الأحاديث التي امتدح النبي ﷺ فيها أصحابه وذكر مناقبهم وللمثال أذكر حديث أبي موسى الأشعري ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ" (٨٧).

ثالث عشر: الإقبال على المتعلم بوجهه.

كان النبي ﷺ حين يلتبس شيء على الصحابة يعلمهم ويوضح لهم بعد أن يُقبل بوجهه عليهم فعن عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود ﷺ: صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ... ثُمَّ سَلَّمَ فَلَمَّا أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ قَالَ: "إِنَّهُ لَوْ حَدَثَ فِي الصَّلَاةِ شَيْءٌ لَنَبَّأْتُكُمْ بِهِ؛ وَلَكِنْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي. وَإِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ فَلْيَتَحَرَّ الصَّوَابَ فَلْيُتِمَّ عَلَيْهِ ثُمَّ لِيُسَلِّمْ ثُمَّ يَسْجُدُ سَجْدَتَيْنِ" (٨٨)

وللإقبال على الجلساء أثر كبير في شد انتباه المستمعين، بل وله سحر خاص في النفوس.

رابع عشر: تخصيص دروس للنساء:

كان النساء يسألن رسول الله ﷺ فيجيبهن عن أمور دينهن، ولم يكن ذلك صدفة أو نادراً، بل خصص لهن أوقاتاً خاصة يجلسن فيها إليه، ويتلقين عنه تعاليم الإسلام ويفتيهن، قَالَتْ عَائِشَةُ: (نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنْصَارِ لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ)(٨٩).

بل لقد طلبن منه أن يجعل لهن يوماً وقد فعل، فقد أخرج البخاري بسنده إلى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قال: قَالَتْ: النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ ﷺ غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ

---

(٨٧) أخرجه البخاري (٢/ ٨٨٠) برقم(٢٣٥٤)، ومسلم في (٧/ ١٧١) برقم(٦٤٩٢).

(٨٨) أخرجه البخاري، (١/ ١٥٦) برقم(٣٩٢)، ومسلم، (٢/ ٨٤) برقم(١٢١١).

(٨٩) أخرجه البخاري معلقاً (١/ ٦٠) ، ومسلم (١/ ٢٦٠) برقم (٦١).

فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ فَكَانَ فِيمَا قَالَ لَهُنَّ: مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلَاثَةً مِنْ وَلَدِهَا إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنْ النَّارِ فَقَالَتْ: امْرَأَةٌ وَاثْنَتَيْنِ؟ فَقَالَ: وَاثْنَتَيْنِ)(٩٠).

فلم تكن مجالسه ﷺ قاصرة على الرجال بل كان كثير من النساء يحضرن المسجد أيضا ويستمعن إلى حديثه الشريف وفي الاجتماعات العامة كالاجتماع بصلاة العيد كن يخرجن جميعا إلى المصلى لاستماع الموعظة النبوية وكان النبي ﷺ بعد أن يلقي خطبة العيد في الصفوف الأمامية للرجال ينتقل إلى صفوف النساء يتحدث إليهن ويعلمهن إلا أن المجالس النبوية بوجه عام كانت الغلبة فيها للرجال دون النساء لذلك جاء وفد النساء إلى رسول الله ﷺ وطلبن إليه أن يجعل لهن يوماً يعلمهن فيه فكان النبي ﷺ يجيبهن إلى ذلك، على أن هذه الدروس كلها من عامة وخاصة لم تكن قائمة بحوائج النساء الدينية فكثيرا ما كانت تتجدد لهن شؤون ولاسيما وهن حديثات عهد بالإسلام فكانت المرأة تقصد رسول الله ﷺ فيما يعرض لها من أمر دينها ولا تستحيي أن تسأله لعلمها أنه لا حياء في التعلم وربما قدمت بين يدي سؤالها قولها «يا رسول الله إن الله لا يستحيي من الحق» ثم تذكر حاجتها كما في حديث أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ: جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ امْرَأَةُ أَبِي طَلْحَةَ الأَنْصَارِيِّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ، هَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلٍ إِذَا هِيَ احْتَلَمَتْ؟ فَقَالَ:« نَعَمْ إِذَا رَأَتِ الْمَاءَ ».(٩١) وكثيرا ما يكون ذلك في نساء الأنصار حتى امتدحتهن عائشة كما سبق، أما من كان يغلب عليها الحياء منهن فكان لها من أمهات المؤمنين أعظم وسيط لدى رسول الله ﷺ يستوضح لها عن جواب سؤالها.

بهذه الروح الطيبة، والنفس السامية كان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه أحكام الإسلام، ولم يكن بين الرسول الكريم والمسلمين حاجب كالملوك والقياصرة، بل كان المسجد معهده يعلم فيه المسلمين أمور دينهم، وقد يرونه في الطريق فيسألونه فيجيبهم، وقد يعترضونه في مناسكه وحجه، أو على راحلته يستفتونه فيفتيهم، فينقل السامعون لهذه الإجابة ما سمعوه إلى إخوانهم في كل مكان. ولقد كان هذا المنهج كفيلاً بأن يحقق ما كان يريده الرسول الكريم من تعليم الصحابة وتربيتهم وتطبيق أحكام الشريعة، وكفيلاً بأن يثبت تلك الأحكام والتعاليم في نفوسهم(٩٢).

---

(٩٠) أخرجه البخاري (١/٥٠) برقم (١٠١).

٩١) أخرجه البخاري معلقاً (١/ ٦٠)، وأحمد في المسند (٤٤/١١٠) برقم(٢٦٥٠٣).

(٩٢) ينظر : السنة قبل التدوين – محمد عجاج خطيب – ص٣٢ : ص٥٥ بتصرف واختصار.

هكـذا كـان أسـلوبه في تعلـيم الصـحابة أمـور ديـنهم ودنيـاهم، وفي صـياغة الفتـوى، وهـذا المـنهج كفيل بأن يصنع مفتياً لا يصطدم مع الشرع ويلاءم العصر.

كيف كان الصحابة يأخذون منه العلم؟

لقد عاين الصحابة الوحي والتنزيل وكانوا يسألون عن كل ما يقع لهم في أمور دينهم ودنياهم،

ولقد أمرهم النبي ﷺ بمراقبة أفعاله فعن مالك بن الحُويرث في حديث جاء فيه قال النبي ﷺ: "وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي"(٩٣).

فأخذوا التشريع من المشرع مباشرة بعدة طرق منها:

أولاً: التطبيق العملي أمام الصحابة.

فقد كان النبي ﷺ يطبق بعض الأمور عملياً أمام الصحابة حتى يكون يثبت الحكم في نفوسهم فقد روى الشيخان من طريق حُمْرَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ، أَخْبَرَهُ أَنَّهُ رَأَى عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ دَعَا بِإِنَاءٍ فَأَفْرَغَ عَلَى كَفَّيْهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ فَغَسَلَهُمَا، ثُمَّ أَدْخَلَ يَمِينَهُ فِي الْإِنَاءِ فَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا، وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ ثَلَاثَ مِرَارٍ، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لاَ يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" (٩٤).

فقد رأى عثمان ﷺ النبي ﷺ، فاستخدم نفس الأسلوب وبنفس الطريقة علم التابعين صفة وضوء النبي ﷺ، فصار هذا الأسلوب مميزًا لدى كل مُعلم يقتدي بالنبي ﷺ.

فالوضوء الذي هو مقدمة الصلاة كان تعليمه بالطريقة العملية، وكذلك ركن الحج علمه النبي ﷺ بالممارسة العملية فعن جَابِر قال: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَرْمِي عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ وَيَقُولُ "لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ فَإِنِّي لاَ أَدْرِي لَعَلِّي لاَ أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ". (٩٥)

ثانياً: حوادث كانت تقع للرسول نفسه.

فيبين حكمها، وينتشر هذا الحكم بين المسلمين بمن سمعوه منه، وقد يكون هؤلاء كثرة تمكنهم من إذاعة الخبر بسرعة، وقد يكونون قلة فيبعث الرسول ﷺ من ينادي في الناس بذلك الحكم.

مثال ذلك ما رواه أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ مَرَّ بِرَجُلٍ يَبِيعُ طَعَامًا فَسَأَلَهُ كَيْفَ تَبِيعُ فَأَخْبَرَهُ فَأُوحِيَ إِلَيْهِ أَنْ أَدْخِلْ يَدَكَ فِيهِ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهِ فَإِذَا هُوَ مَبْلُولٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْسَ مِنَّا مَنْ غَشَّ)[٩٦] (

---

(٩٣) أخرجه البخاري، (١/ ٢٢٦) برقم(٦٠٥)، وفي (٥/ ٢٢٣٨) برقم(٥٦٦٢)، وفي (٦/ ٢٦٤٧) برقم(٦٨١٩).

(٩٤) أخرجه البخاري (١/ ٧١) برقم(١٥٨)، ومسلم (١/ ١٤٠) برقم(٤٥٩).

(٩٥) أخرجه مسلم (٤/ ٧٩) برقم(٣١١٥).

(٩٦) أخرجه مسلم (١ / ٢٦٧) برقم(١٤٧)، أبو داود (٢/ ٢٩٤) برقم (٣٤٥٢).

معناه: ليس على سيرتنا ومذهبنا). فهذه حادثة وقعت للنبي ﷺ فبين الحكم أمام الصحابة فنشروه بين الناس.

ثالثاً: حوادث كانت تقع للمسلمين.

كانت تقع بعض الحوادث للمسلمين فيسألون الرسول عنها، فيفتيهم ويجيبهم، مبيناً حكم ما سألوا عنه، من هذه الحوادث ما يتناول خصوصيات السائل نفسه، ومنها ما يتعلق بغيره، وجميعها من الوقائع التي تعرض للإنسان في حياته فترى الصحابة لا يخجلون في ذلك كله، بل يسرعون إلى المعلم الأول، ليقفوا على إجابة تشفي الغليل وتنير الطريق.

مثال ذلك ما رواه على بن أبي طالب ﷺ قَالَ: كُنْتُ رَجُلاً مَذَّاءً فَأَمَرْتُ الْمِقْدَادَ أَنْ يَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فَسَأَلَهُ فَقَالَ: « فِيهِ الْوُضُوءُ »[٩٧]. فالصحابة رضوان الله عليهم كانت تقع لهم الحوادث فيستفتون رسول الله ﷺ فيفتيهم.

رابعاً: وقائع وحوادث شاهد فيها الصحابة تصرفات الرسول ﷺ.

وهذه كثيرة في صلاته وصيامه وحجه وسفره وإقامته.... فنقلوها إلى التابعين الذين بلغوها إلى من بعدهم. ومن ذلك ما رواه سالم بن عبد الله عن أبيه ابن عمر قال: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ يَمْشُونَ أَمَامَ الْجَنَازَةِ "[٩٨].

خامساً: الأخذ منه مباشرة لا سيما في مرحلة الصغر.

لما في التعلم في هذه المرحلة من صفة الثبات، وقد اهتم رسول الله ﷺ بتعليم صغار الصحابة (رضي الله عنهم)، ومما يدل على ذلك ما ورد عن جندب بن عبد الله قال: "كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ فِتْيَانٌ حَزَاوِرَةٌ(٩٩)، يَعْنِي أَشِدَّاءَ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ بَعْدُ فَازْدَدْنَا إِيمَانًا"١٠٠).

ومما كان يسلكه رسول الله ﷺ في تعليم الصغار حرصه على تعليم الحسن وغيره بعض الأدعية التي تتضمن بعض جوانب الإيمان كدعاء القنوت، كما يقول الحسن بن علي (رضي الله عنهما): "عَلَّمَنِي

---

(٩٧) أخرجه البخاري (١/ ٦١) برقم (١٣٢).

(٩٨) أخرجه أبو داود (٢/ ٢٢٢) برقم (٣١٧٩)، والترمذي(٣/ ٣٢٩) برقم (١٠٠٧)، وقال: وأهل الحديث كلهم يرون أن الحديث المرسل في ذلك أصح، وصححه الألباني .(صحيح سنن أبي داود).

(٩٩) حزاورة : جمع حَزْوَر ، وهو الغلام إذا اشتد وقوي وخدم (الجوهري ، الصحاح ٢/٦٢٩) .

(١٠٠) أخرجه ابن ماجة (١/ ٢٣) برقم(٦١)، والحديث صححه الألباني) .

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي الْوِتْرِ قَالَ ابْنُ جَوَّاسٍ فِي قُنُوتِ الْوِتْرِ « اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ إِنَّكَ تَقْضِي وَلاَ يُقْضَى عَلَيْكَ وَإِنَّهُ لاَ يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ وَلاَ يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ"(١٠١).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا التَّشَهُّدَ كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ فَكَانَ يَقُولُ: التَّحِيَّاتُ الْمُبَارَكَاتُ، الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ لِلَّهِ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. (١٠٢)

بهذه الطرق تلقى الصحابة الفتاوى، ونقلوها لمن بعدهم.

من خلال هذا نرى أن النبي ﷺ وضع منهجاً للمفتين ينتهجونه في كل عصر ومصر، منهج يقوم على التيسير على متلقي الفتوى دون تعصب أو تعسف أو تحيز، فهو يجعل الحكم يصل بكل سهولة ويسر.

الخاتمة

أحمد الله أولاً وآخراً ظاهراً وباطناً وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أما بعد:

فالله أعلم بما هو الحق والصواب في كل سؤال وجواب، فقد جمعت هذه المادة من كتب جليلة لأئمة من الأفاضل تغمدهم الله تعالى برحمته وأسكنهم فسيح جنته.

وقد ظهر من خلال البحث التالي:

أهمية تنوع الأساليب مع المتعلم.

أن النبي ﷺ في التعليم لم تكن لأجل زمانه هو وحده ولا لتعليم المسلمين المعاصرين له فحسب بل هو تعليم للأمة في مختلف الأزمنة والأمكنة.

أن الأسلوب النبوي كان له أبلغ الأثر على سرعة تجاوب الصحابة.

أن النبي ﷺ أعطى وقتاً للنساء لتعليم العلم.

---

(١٠١) أخرجه أبو داود ، (١/ ٥٣٦) برقم(١٤٢٧) ، والترمذي (٢/ ٣٢٨) برقم(٤٦٤)، وقال: حسن، والنسائي (٣/ ٢٧٥)برقم(١٧٤٤)، وأحمد في المسند مسند أحمد ط الرسالة (٣/ ٢٤٥) برقم(١٧١٨)، وقال الألباني في (صحيح سنن أبي داود) ٢٦٧/١ : [صحيح] .

(١٠٢) أخرجه مسلم (٢/ ١٤) برقم(٨٣٢).

أهم التوصيات ما يلي:-

على القائمين على التعليم الاستعانة بالمنهج النبوي في التعليم.

عقد مؤتمر عن طريقة النبي ﷺ في التعامل مع الأمور المستجدة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أهم المراجع:

(١) القرآن الكريم – جل من أنزله.

(٢) الأدب المفرد – لأبي عبد الله البخارى – ط/ دار البشائر الإسلامية – بيروت – الثالثة – ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م- تحقيق/ محمد فؤادد عبد الباقي.

(٣) تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذى للمباركفورى ط/دار الكتب العلمية بيروت.

(٤) التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ط/ المدينة المنورة – ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م – تحقيق / السيد عبد الله هاشم اليماني المدني.

(٥) الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه وهو (صحيح البخاري) – للبخاري ط/ دار ابن كثير اليمامة بيروت الثالثة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م تحقيق / مصطفى ديب البغا.

(٦) الجامع الصحيح، هو سنن الترمذي لأبي عيسى بن سورة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار الكتب العربية. بيروت – لبنان.

(٧) دلائل النبوة لأبي نعيم الأصفهاني، تحقيق: د. محمّد رواس قلعة جي وعبد البرّ عباس، الطبعة (٢)، دار النفائس - بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

(٨) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة – لأبي بكر البيهقى ط/ دار الكتب العلمية – بيروت.

(٩) سلسلة الأحاديث الصحيحة - للشيخ الألباني ط: منشورات المكتب الإسلامي، بيروت.

(١٠) السنة قبل التدوين محمد عجاج الخطيب ط/ مكتبة وهبة الأولى ١٣٨٣هـ ١٩٦٣م.

(١١) سنن ابن ماجه، الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، حقق نصوصه محمد فؤاد عبد الباقي. مطبعة دار إحياء الكتب العربية.

(١٢) سنن أبي داود – لأبي داود بن الأشعث – ط/ دار الفكر – تحقيق / محمد محيي الدين عبدالحميد.
(١٣) سنن الدارمي – لأبي محمد الدارمي ط/ دار الكتاب العربي – بيروت – الأولى ١٤٠٧هـ – تحقيق / فواز أحمد زمرلى – وخالد السبع العلمي.
(١٤) السنن الكبرى – لأبي بكر البيهقي ط/ مكتبة دار الباز – مكة المكرمة – ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م – تحقيق / محمد عبد القادر عطا.
(١٥) السنن الكبرى –للنسائي ط/دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى – ١٤١١هـ – ١٩٩١م تحقيق د. عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروى حسن.
(١٦) صحيح ابن خزيمة – لمحمد بن إسحاق بن خزيمة – ط/ المكتب الإسلامي – بيروت – ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م – تحقيق / د. محمد مصطفى الأعظمي.
(١٧) صحيح الترغيب والترهيب لمحمد ناصر الدين الألباني ط: مكتبة المعارف – الرياض– الطبعة: الخامسة.
(١٨) صحيح الجامع لمحمد ناصر الدين الألباني ط: المكتب الإسلامي.
(١٩) صحيح مسلم – لمسلم بن الحجاج– ط/ دار إحياء التراث بيروت – تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي.
(٢٠) عمدة القاري شرح صحيح البخارى – لبدر الدين العينى – ط/دار إحياء التراث بيروت (د.ت).
(٢١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر ط دار المعرفة بيروت تحقيق /محب الدين الخطيب.
(٢٢) فيض القدير لعبد الرؤوف المناوي ط/ المكتبة التجارية مصر الأولى – ١٣٥٦هـ.
(٢٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، ط: دار النشر / دار الوطن – الرياض – ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م تحقيق: علي حسين البواب.
(٢٤) لسان العرب – لابن منظور –ط/ دار صادر – بيروت – الأولى.
(٢٥) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي ط دار الريان للتراث، ودار الكتاب العربى القاهرة بيروت ١٤٠٧ هـ
(٢٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل – للإمام أحمد بن حنبل– ط/ مؤسسة قرطبة – مصر.
(٢٧) مسند البزار– لأبي بكر البزار –ط/ مؤسسة علوم القرآن – بيروت – المدينة – الأولى – ١٤٠٩هـ – تحقيق / د/ محفوظ الرحمن زين الله.

(٢٨) مسند الطيالسي – لأبي داود الطيالسي –ط/ دار المعرفة – بيروت.
(٢٩) مسند عبد بن حميد – لأبي محمد عبد بن حميد ط/ مكتبة السنة القاهرة الأولى – ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م تحقيق صبحي البدري السامرائي ومحمود خليل الصعيدي.
(٣٠) مصباح الزجاجة – للبوصيري – ط/ دار العربية – بيروت – الثانية – ١٤٠٣هـ – تحقيق / محمد المنتقى الكشناوى.
(٣١) معجم البلدان لياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله ط: دار الفكر – بيروت.
(٣٢) المعجم الكبير – للطبراني – ط/ مكتبة العلوم والحكم – الموصل – الثانية – ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م – تحقيق/ حمدى بن عبد المجيد السلفي.
(٣٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبى زكريا النووى ط دار إحياء التراث العربى – بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ.
(٣٤) النهاية في غريب الحديث والأثر لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ط المكتبة العلمية بيروت ١٣٩٩هـ – تحقيق/ طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي.
(٣٥) البحث العلمي, مفهومه, أدواته, أساليبه, عبد الرحمن عدس وآخرون دار أسامة للنشر والتوزيع, الرياض, ٢٠٠٥م.
(٣٦) طرائق التدريس العامة, مرعي, توفيق أحمد والحيلة دار المسيرة, عمان, الاردن, ٢٠٠٢م.
(٣٧) شرح صحيح البخارى . لابن بطال تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم ط: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
(٣٨) المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية لعاتق بين غيث البلاي ط. دار مكة.
(٣٩) السلسلة الضعيفة؛ لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف – الرياض
(٤٠) النهاية في غريب الحديث والأثر؛ لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

المحتويات

المقدمة: ٤

منهج الدراسة: ٦

أهداف البحث: ٦

خطة البحث: ٦

لمحة عن بيان فضل القرآن الكريم، وحملته: ٧

أولاً: من نصوص القرآن ٧

ثانياً: من نصوص السنة النبوية. ٨

الأساليب التي تربط المجتمع بكتاب الله: ٨

الأسلوب الأول: الثناء والتشجيع: ٩

ثانياً: التدرج ومراعاة الحال: ١١

ثالثاً: التبسط وإزالة الحواجز: ١٣

رابعاً: الإقناع: ١٥

خامساً: أسلوب الترغيب والترهيب: ١٦

سادساً: أسلوب الممارسة أو التدريب(العادة) ١٧

سابعاً: أسلوب ملء الفراغ: ١٧

ثامناً: استخدام الإشارات كأساليب تعليمية. ١٨

أولاً: كان يستعمل الإشارة ١٨

ثانياً: الرسم ووسائل الإيضاح: ١٩

المبحث الثالث: أسلوبه ﷺ في التعليم ٢١

أولاً: الحث على طلب العلم: ٢١

ثانياً: مخاطبة الناس على قدر عقولهم: ٢١

ثالثاً: مخاطبة الناس بلهجاتهم: ٢٤

رابعاً: تكرار الكلام ليتأكد من بلوغه للسامع وفهمه له. ٢٦

خامساً: إجابة السائل بأكثر مما سائل: ٢٧

سادساً: توخي منهج التيسير والرحمة والبعد عن التعسير والشدة: ٢٨

سابعاً: استخدام الشدة عند الحاجة. ٢٩

ثامناً: التدرج في إيصال المعلومة: ٣٠

تاسعاً: مراعاة الفروق الفردية: ٣٠
عاشراً: الحوار والمناقشة: ٣١
حادي عشر: ربط المنهاج بأمثلة تصويرية لتقريب الفهم: ٣٢
ثاني عشر: المدح والإطراء للتشجيع والتحفيز: ٣٣
ثالث عشر: الإقبال على المتعلم بوجهه..... ٣٣
رابع عشر: تخصيص دروس للنساء:..... ٣٣
كيف كان الصحابة يأخذون منه العلم؟..... ٣٦
أولاً: التطبيق العملي أمام الصحابة. ٣٦
ثانياً: حوادث كانت تقع للرسول نفسه. ٣٦
ثالثاً: حوادث كانت تقع للمسلمين..... ٣٧
رابعاً: وقائع وحوادث شاهد فيها الصحابة تصرفات الرسول ﷺ..... ٣٧
خامساً: الأخذ منه مباشرة لا سيما في مرحلة الصغر. ٣٧
الخاتمة ٣٨
أهم المراجع: ٣٩